

الفصل الثاني

مهارات التواصل اللغوي

مقدمة:

لقد فُضِّل الإنسان - خليفة الله في الأرض- على سائر المخلوقات باللغة، فيقول عزّ من قائل: "وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (سورة البقرة: 31).

وتعد اللغة من أهم شروط إنسانية الإنسان، كما أنها من أعظم ما ابتكره الإنسان وأبدعه، وهي أساس الحياة الاجتماعية وضرورة من ضروراتها، وأساس وجود التواصل في هذه الحياة، وتوطيد سبل التعايش فيها، فهي وسيلة الإنسان للتعبير عن حاجاته ورغباته وأحاسيسه ومواقفه وطريقه إلى تصريف أمور عيشه، وإرضاء غريزة الاجتماع لديه. (أنسى محمد أحمد، 2000: 11).

وذلك لكونها الوسيلة التي يستطيع بواسطتها توصيل المعلومات لمن حوله، وكذلك الحصول على المعلومات ممن حوله، فتبادل الحديث بين الأفراد من أهم ما يربط أفراد المجتمع. (إيناس عليّات، وميرفت الفايز، 2012: 35)

ومن هنا يمكن معالجة مفهوم التواصل اللغوي -تفصيلاً- من خلال المحاور الآتية؛ وهي:

أولاً: طبيعة اللغة العربية.

ثانياً: طبيعة مفهوم التواصل وأهميته:

1. نشأة مفهوم التواصل.

2. تعريف مفهوم التواصل:

أ. التعريف اللغوي.

ب. التعريف الاصطلاحي.

2. الفرق بين مفهومي التواصل والاتصال.

3. أهمية التواصل.

ثالثاً: التواصل اللغوي من منظور الدراسات اللغوية.

رابعاً: اللغة والتواصل:

1. تعريف التواصل اللغوي.

2. التواصل الشفهي:

أ. مهارة الاستماع.

ب. مهارة التحدث.

4. التواصل الكتابي:

أ. مهارة القراءة.

ب. مهارة الكتابة.

خامساً: التفاعل الصفي ودوره في تنمية مهارات التواصل اللغوي:

1. التدريس عملية تواصل لغوي.

2. أهمية ثقافة الفصل في تدريس اللغة.

أولاً: طبيعة اللغة العربية :

اللغة قطعة من الحياة نشأت فيها، وتسير معها، وتتغذى بغذائها، وتنهض بنهوضها، وتركد بركودها. ففي كل مجتمع - مهما كانت طبيعته، وحجمه- تؤدي اللغة دوراً مهماً بوصفها من أقوى الروابط بين أعضاء ذلك المجتمع.(هادى نهر، 2010: 16).

وهي التي عرفها "ابن جنى" بأنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، والأغراض هي المعاني، أو الدلالات التي يُراد نقلها من متكلم إلى مستمع، وتستخدم الأصوات المنطوقة أو المكتوبة صورة لها، فهنا إذن جانبان؛ أحدهما: مادي مسموع، والآخر: إدراكي معنوي، وكلا الجانبين يؤثر في الآخر، ويتأثر به.

وهو نفسه ما أكده "أرسطو" حين رأى أن اللغة نتاج صوتي مصحوب بعمل الخيال من أجل أن يكون التعبير صوتاً له معنى، وهو نفسه المفهوم الذي صدر عن "أوتيسيرسن" بعده بمئات السنين؛ إذ رأى أن جوهر اللغة نشاط إنساني من قبل الفرد؛ ليجعل نفسه مفهومًا من الآخرين، ونشاط من قبل الآخرين؛ ليفهموا ما يدور في عقله.(محمد حماسة، 2000: 37).

ويتفق ذلك مع تعريف محمود السعران(د.ب: 72) للغة؛ بأنها: "الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنساني، والتي تدركها الأذن، وهذه الأصوات تُؤلف بطرائق اصطلاحية في كلمات ذات دلالات اصطلاحية".

وتتحدد طبيعة اللغة بصورة أكثر شمولاً؛ بأنها: "منظمة عرفية للرمز إلى نشاط المجتمع، وهذه المنظمة تشتمل على عددٍ من الأنظمة يتألف كل واحد منها من مجموعة من المعاني تقف بازائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المباني المعبرة عن هذه المعاني ثم طائفة من العلاقات التي تربط ربطاً إيجابياً، والفروق "القيم الخلاقية" التي تربط سلبياً بإيجاد المقابلات ذات الفائدة بين أفراد كل مجموعة من المعاني، أو مجموعة المباني".(تمام حسان، 1994: 34).

لذا يمكن القول إن اللغة: " مجموعة من المعاني موزعة بين عددٍ من الأنظمة (الصوت والصرف والنحو والدلالة)، ومجسدة عبر مجموعة من المباني؛ لتحقيق أغراض التواصل إرسالاً واستقبالاً".

وذلك لأن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع أن يوفر لنفسه كل متطلبات العيش دون التواصل مع الآخرين؛ وذلك ما أكده "الأمدي" بقوله: "ولما كان كل واحد لا يستقل بتحصيل معارفه بنفسه وحده دون معين ومساعد له من نوعه؛ دعت الحاجة إلى نصب دلائل يتوصل بها إلى معرفة ما في ضمير الآخر من المعلومات المعينة له في تحقيق غرضه"، وتلك الحقيقة أكدها من قبل "فخر الدين الرازي" بأن السبب في وضع الألفاظ أن الإنسان وحده لا يستقل بجميع حاجاته، بل لابد من التعاون، ولا تعاون إلا بالتعارف، ولا تعارف إلا بأسباب؛ كحركات أو إشارات أو نقوش أو ألفاظ توضع بإزاء المقاصد.(هادى نهر، 2010: 56-57).

وبناءً على ذلك فإن ظاهرة التواصل ظاهرة طبيعية في الوسط الاجتماعي البشري؛ ناتجة أساساً عن مظاهر الالتقاء، والافتراق في المصالح، وحاجة الناس إلى بعضهم بعضاً في إشباع حاجاتهم الاجتماعية.(ترزولت عمروني، وجعفر ربيعة، 2005: 302).

وهذا يجعل اللغة ضرباً من السلوك الإنساني؛ يتمثل في الطريقة التي يتصرف بها أفراد المجتمع يتواصلون طبقاً لمعايير وأعراف متفق عليها. وهذا السلوك يتميز بثلاثة جوانب: جانب نفسي يتمثل في التعبير عن الذات الفردية، وجانب اجتماعي: يتمثل في اكتساب هذا السلوك من خلال الجماعة اللغوية، وجانب نظامي: يتمثل في خضوع هذا السلوك لقواعد وأشكال محددة. (كريم زكي حسام الدين، 2001: 9)

وتتنوع أشكال التواصل بين التواصل اللفظي Verbal communication، والتواصل غير اللفظي Non verbal communication، ويقصد بالتواصل اللفظي؛ الرمزية اللفظية باستخدام اللغة كنظام من التفاعل بين شخصين، أو جماعة من الناس في ترميز المعاني، والتواصل غير اللفظي؛ أي الرمزية غير اللفظية التي تعتمد على تناقل الرسائل غير اللفظية كرموز تحمل معاني معينة

لدى كل من المرسل، والمستقبل؛ كالتعبير الجسمي، والهئية الجسمية، والتجاور، والتقارب، وغيرها. (سهير محمد سلامة، 2007: 21-23).

ومن هنا يمكن القول إن التواصل أهم أشكال استخدامات اللغة، وأنفع الوظائف للإنسان؛ مما يجعله أفضل طرق اكتساب اللغة، وتعلمها، وذلك في إطار الصفة الاجتماعية لعمليات التعلم، التي تُعد اللغة الوسيلة الأولى لتحقيقها.

ثانياً: طبيعة مفهوم التواصل وأهميته:

1. نشأة مفهوم التواصل:

إن مفهوم التواصل ليس مقصوراً على حياة الأفراد اليومية الراهنة، فهو يضرب بجذوره في التاريخ السحيق للبشرية، وأكثر من هذا كله فإن للتواصل وجهاً إلهياً. فقد تواصل الله سبحانه وتعالى مع ملائكته: " وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا" (الكهف:50).

وكلم الله تعالى آدم: "فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (البقرة:37)، وأوحى إلى محمد- صلى الله عليه وسلم- يأمره بفعل اتصالي؛ وهو القراءة: "أقرأ باسم ربك الذي خلق" (العلق: 1) . (محمد بلال الجيوسي، 2002: 14).

ثم شهد ميدان التواصل طفرة في التقدم من حيث التنظير والبحث حتى أصبح هناك أكثر من عشرين تخصصاً علمياً في بعض جوانب التواصل والتفاعل الإنساني. فعلماء الأنثروبولوجيا يعرفون الثقافة على أنها تواصل، وعلماء علم النفس الاجتماعي يحددون العلاقات بين نشاط الفرد والجماعة على أنها عملية اتصالية، وعلماء اللغة يصنفون بحوثهم في بنوية اللغة على أنها جانب من علم التواصل. (سهير محمد سلامة، 2007: 15).

1. تعريف مفهوم التواصل:

*التواصل لغة:

الفعل "اتصل" يُعنى وصل الشيء وصلأً، وصلة، والوصل ضد الهجران، والاتصال أو التواصل هو الوصلة؛ أي ما اتصل بالشيء ووصله إليه بمعنى أبلغه إياه". (ابن منظور، 1414هـ). كما حدده ابن فارس(1399هـ) بالرجوع إلى مادة وصل، فإن "الواو، والصاد، واللام: أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه"، وفي المعجم الوسيط: جاءت كلمة "تواصل" في باب "أوصله" الشيء: أنها، وأبلغه إياه، وتوصل إلى الشيء: انتهى إليه، وبلغه.

كما أشار كل من Mostafa, W.M.W (2005:4)، وبسمة وحيد (2007: 69)، وسهير محمد سلامة(2007: 16) إلى أن أصل كلمة التواصل (Communication) يرجع إلى اللغة اللاتينية(Communis) والتي ترادف اللغة الإنجليزية (Common) بمعنى عام، أو شائع، أو مألوف في نفس الوقت بين الأفراد، والمجتمعات؛ وذلك بهدف مشاركتهم في تبادل المعلومات والأفكار والآراء والاتجاهات؛ من أجل تحقيق مساحة مشتركة بين مرسل الرسالة، ومستقبلها، ويشمل كافة الطرق، والأساليب التي يؤثر بموجبها عقل في عقل آخر باستعمال الرموز .

وبذلك يتضمن مفهوم التواصل معنى الألفة، والشيوخ لنظام معين محدد مستخدم من قبل الأفراد؛ بهدف تبادل المعلومات والأفكار والآراء، كما يشمل معنى الربط والالتحام. وهذه الصيغة تستدعي التجاوب بين طرفين على الأقل؛ بما يفيد معنى الإبلاغ نتيجة لارتباط الطرفين في إطار من العلاقات الوجدانية الاجتماعية التي بموجبها يؤثر عقل في آخر، ويتأثر به.

*التواصل اصطلاحًا:

تعددت تعريفات التواصل؛ حيث:

- تعريف محمد بلال الجبوسى(2002: 25)؛ بأنه: " عملية معلوماتية يتم التعبير من خلالها- بين مرسل ومستقبل- عن المشاعر، والأفكار، والوقائع، بواسطة رسالة ذات أشكال مختلفة عبر قنوات مختلفة؛ بهدف تحقيق وظائف متنوعة".
- وتعريف عثمان نايف، ومحمد جابر(2005: 114)؛ بأنه: " انتقال الأفكار والمعلومات بين الناس داخل نسق اجتماعي معين يختلف من حيث الحجم، ومن حيث المحتوى، والعلاقات المتضمنة فيه؛ بمعنى أن هذا النسق الاجتماعي قد يكون مجرد علاقة ثنائية نمطية بين شخصين، أو جماعة صغيرة، أو مجتمع محلي، أو مجتمع قومي، أو حتى المجتمع الإنساني كله".
- وتعريف شيماء سند(2005: 35)؛ بأنه: " عملية تفاعل وتأثر من طرف لآخر، أو من فرد لآخر، أو من جماعة إلى أخرى بوسائط محددة؛ كاللغة اللفظية والإشارة وغيرها. وتعد اللغة أهم أدوات التواصل البشري؛ وتشمل الإشارات الحركية بالأيدي، أو بالشفاه، أو تعبيرات الوجه".
- وتعريف راشد محمد(2006: 152)؛ بأنه: " العملية التي يتم بقتضاها نقل الأفكار، والمعلومات اللازمة لاستمرار العمل، والتي تؤثر، وتتأثر بمكونات السلوك الفردي، والعوامل المؤثرة على طرفي الاتصال، وذلك من خلال قنوات معينة يتم من خلالها نقل الأفكار، والمعلومات؛ لتحقيق هدف معين".
- وتعريف عازة محمد سلام (2007: 5)؛ بأنه: " عملية تفاعل تتم بين طرفين: مرسل ومستقبل، يتم من خلالها نقل معلومات، أو مهارات، أو اتجاهات، أو آراء إلى المستقبل سواء كان فردًا أو مجموعة بأساليب متنوعة؛ لتحقيق هدف معين".
- وتعريف تاعوينات على (2009: 14)؛ بأنه: "نقل معلومات من مرسل إلى متلق بواسطة قناة، بحيث يستلزم ذلك النقل من جهة وجود شفرة، ومن جهة ثانية تحقيق عمليتين؛ هما: ترميز المعلومات (encodage)، وفك الترميز (decodage)، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار طبيعة التفاعلات التي تحدث في أثناء عملية التواصل، وكذا أشكال الاستجابة للرسالة والسياق الذي يحدث فيه التواصل".
- وتعريف El-daly,M.H (2010: 24)؛ بأنه: " حدث اجتماعي يسهل حدوثه عن طريق المبادئ المشتركة، والقواعد بين المشاركين في الحدث".
- وتعريف ماجد رجب (2011: 10)؛ بأنه: "نقل الأفكار والتجارب وتبادل الخبرات والمعارف بين الأفراد والجماعات بتفاعل إيجابي، وبواسطة رسائل تتم بين مرسل، ومتلق. وهو جوهر العلاقات الإنسانية، ومحقق تطورها".
- وتعريف Gulec,S.&Ertugrul,A (2012: 5645)؛ بأنه: " عملية إنتاج المعرفة ونقلها وتفسيرها؛ بما يجعلنا نفهم الآخر، ويجعل الآخر يفهمنا".
- وتعريف Barna,J&Barna,O (2012: 973)؛ بأنه: " مظهر أساس للوجود الإنساني، وهو يمثل الوسيط بيننا وبين الآخر، ويعكس علاقتنا مع الآخر ويتحكم فيها".
- وتعريف Sacco,K. etal (2013: 55)؛ بأنه: " عملية بناء المعنى بواسطة جميع الأطراف المتعاونة والمشاركة في عملية التفاعل".

ويمكن من خلال ما سبق عرضه من تعريفات لغوية، واصطلاحية لمفهوم التواصل استنتاج عدد من الخصائص التي تحدده؛ وهي أنه:

- ينطوى على علاقة بين شخصين تستدعي أن يكون أحدهما: مرسل، والآخر: مستقبل.
- يفيد معنى الإبلاغ بين شخصين نتيجة للترابط.
- يستدعي عمليتي: الترميز، وفك الترميز؛ من أجل تبادل الأفكار، والآراء، والاتجاهات.
- يشمل جانبين: جانب لفظي (لغة الحديث)، وجانب غير لفظي (لغة الإيماءات والإشارات).

ومن هنا يمكن القول إن عملية التواصل تهدف إلى بناء المعنى، وتحقيق الفهم المشترك بين الأطراف المتعاونة، وهو أكثر من مجرد تبادل للكلمات بين الأفراد، وذلك ما أكدته دراسة Wallace, H. & Roberson, C (2009: 16) بوصفها التواصل من خلال ثلاثة عناصر رئيسة؛ الأول: أن التواصل عملية -وليس مجرد حدث- تتكون من أربع خطوات؛ وهي: إرسال الفكرة خلال وسيلة، واستقبال الرسالة، وفهم الفكرة، والتغذية الراجعة لمرسل الرسالة، والثاني: أن التواصل يتم بين شخصين على الأقل؛ فيرجع إلى الحاجة للتعبير من شخص إلى آخر، والثالث: أن التواصل يهدف إلى تبادل المعلومات؛ ويتم بصورة رسمية، أو غير رسمية.

ويفسر ذلك تعبير "هاليداي" 1978 عن عملية التواصل بوصفها: "مواجهة اجتماعية" Sociological Encounter؛ أي أنه من خلال تبادل المعاني في عملية التواصل ينشأ الواقع الاجتماعي، ويُحدد، ويُعدل. وذلك ما سبق إليه أوستين 1962 في نظرية الفعل الكلامي؛ بقوله: "إن اللغة والتواصل هما وسيلتا الفعل". (Rahman, M., 2010: 2-3)

وبذلك تتضح الصفة الاجتماعية لعملية التواصل؛ من خلال تبادل المعلومات بين طرفي التواصل، وذلك في حدود الواقع الاجتماعي المحيط؛ بما يؤثر في طبيعة العلاقة الاجتماعية بينهما؛ نشأة، وتحديداً، وتعديلاً، وبذلك يظهر الاختلاف بين مفهومي التواصل، والاتصال؛ وفيما يلي تفصيل ذلك.

2. الفرق بين مفهومي: التواصل والاتصال:

ميز محمد بلال الجبوسي (2002: 21-23)، وعثمان نايف، ومحمد جابر (2005: 115)، وراشد محمد عطية (2006: 151-152) بين المفهومين؛ بأن الاتصال مفهوم عام يتضمن أي نوع من أنواع إرسال الرسائل، واستقبالها.

أما التواصل Interpersonal Communication؛ فهو يختلف عن مفهوم الاتصال في عدد من الأمور؛ وهي: أن التواصل يكون بين شخصين أو بين شخص ومجموعة صغيرة، ويشترط أن يكون التواصل وجهًا لوجه دون وسيط؛ مما يعكس الخصائص الشخصية لأطراف التواصل، وعلاقاتهم الاجتماعية.

ويمكن من هذا المنطلق تحديد مصطلح التواصل؛ بأنه عملية:

- إنسانية تقتصر على الإنسان دون الجماد.
- اجتماعية ذات بعد اجتماعي تفاعلي.
- تفاعلية تبادلية التأثير والتأثر، والأخذ والعطاء.
- مباشرة تتطلب التفاعل وجهًا لوجه، مما يكون له أوقع الأثر.

4. أهمية التواصل:

كثرت في الأونة الأخيرة البحوث في مجال التواصل؛ ويرجع ذلك إلى أن قدرتنا على التعايش، والتكيف مع الواقع الاجتماعي المحيط تعتمد بدرجة كبيرة على كيفية تواصلنا مع ذلك الواقع، وبذلك نجد العلاقة المباشرة بين جودة التواصل، وجودة الحياة. (Hargie, O. 2006: 1)، فالتواصل من المهارات الأساسية في القرن الحادي والعشرين بالإضافة إلى غيره من المهارات؛ كالتعاون، والتفكير الناقد، وحل المشكلات، والإبداع، والمعرفة الإلكترونية. (Bradford, D., 2011: 2)

ويرجع ذلك إلى عدد من الوظائف التي تحققها عملية التواصل؛ أولها: التعلم؛ فتتأثر أفكار الفرد، وقيمه، واتجاهاته بتواصله مع الآخرين، وثانيها: إقامة العلاقات؛ فعملية نسج علاقات اجتماعية إنسانية هو من أهم حاجات الإنسان الأساسية، وثالثها: التأثير؛ فيحاول الفرد التأثير في اتجاهات الآخرين، وسلوكهم من خلال التفاعل معهم. (محمد بلال الجبوسى، 2002: 33)

كما تتحدد أهمية التواصل على النحو الآتي:

- يحدد دور الفرد داخل المجتمع، وبذلك يحسُّ كل فرد بقيمته الاجتماعية؛ فكل دور اجتماعي يفرض على صاحبه التواصل مع الآخرين.
- يساعد الفرد على الاقتراب من غيره، وإحساسه بالطمأنينة الناتجة عن التماسك الاجتماعي.
- يفيد الفرد في اتخاذ قراراته من خلال معرفته بالقضايا والموضوعات اليومية.
- يدعم انتماء الفرد إلى المجتمع؛ مما يجعله يكتسب سمات، وخصائص المجتمع الذي يعيش فيه.
- يحقق الترابط بين الأفراد، ويدعم التفاعل الاجتماعي.
- يحقق الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع.
- يولد الفهم عند الآخرين. (سليم حمدان، 2009: 15-16)

أما عن الأهمية التربوية لمفهوم التواصل، والتي زادت استجابةً لعصر اقتصاد المعرفة؛ مما تطلب ضرورة الاعتناء بتنمية مهارات التواصل لدى التلاميذ؛ لزيادة قدراتهم على الوصول إلى المعرفة بأنفسهم والمشاركة فيها واستخدامها وتوظيفها وإعادة إنتاجها؛ بهدف تحسين نوعية الحياة بمجالاتها كافة. (مهند خازر، أحمد محي الدين، 2011: 684-685).

ونتيجة لذلك لاقى مفهوم التواصل رواجًا كبيرًا في كثير من النظم التربوية، وحظى باعتناء ملموس من مراكز تطوير المناهج، والمتخصصين في تعليم اللغات في العالم. فأصبح تمكن التلاميذ من مهارات التواصل من أهم أهداف تعليم اللغة، كما صاحب ذلك تطور واضح في إجراءات تدريس مهارات اللغة. (محمد مسعد، 2012: 12).

وقد أكد ذلك ما جاء في الأهداف العامة للمرحلة الابتدائية – طبقًا لوزارة التربية والتعليم- من ضرورة اكتساب التلاميذ المهارات الأساسية في اللغة بصورة تؤدي إلى التواصل الفعال بمختلف وسائله؛ أي مساعدتهم على النمو المتكامل في كافة جوانب شخصيتهم خاصة الجانب اللغوي من خلال اللغة القومية بين مواطني المجتمع أخذًا، وعطاءً، وحوارًا، ورأيًا، وتفاعلاً، وانتماءً. (أحمد أحمد السيد، 2006: 13).

مما جعل التواصل مركز عملية التعليم عامة؛ لزيادة قدرة التلاميذ على التواصل، والتعبير عن أنفسهم اجتماعيًا، وانفعاليًا، وإعدادهم كأفراد ينتمون، ويتواصلون مع غيرهم؛ ويتحقق ذلك بإتاحة الفرص لهم للمشاركة في ممارسة مهارات التواصل، ونقل معارفهم عن المفاهيم، والمهارات إلى العالم الحقيقي في سياق ذي معنى. (Council for curriculum examinations and assessment., 2011:1)

ولذا نستنتج مما سبق أن مهارات التواصل صارت هدفًا مهمًا من أهداف تعليم اللغة العربية وتعلمها؛ وذلك لما تؤديه من وظائف- بوصفها عملية أساسية لإتمام العلاقات الاجتماعية، وتحقيق التفاعل، والتواصل بين الأفراد، فالفرد يعيش في مجتمعه متواصلًا مع الآخرين، ومتبادلًا معهم العلاقات والآراء والأفكار والمصالح من خلال وسائل متعددة؛ سواءً أكان مستمعًا أم متحدثًا أو قارئًا أو كاتبًا .

ثالثًا : التواصل اللغوي من منظور الدراسات اللغوية:

أسس اللغويون لمفهوم التواصل من خلال تعريفاتهم للغة، والتي حددها كل من سليم حمدان(2009: 4-6)، وعابدة الحوشى(2009: 428-430)؛ على النحو الآتي:

1. يظهر مفهوم التواصل عند "الجاحظ" من خلال الإبانة عن المعاني؛ حيث قوله: "إن مدار الأمر، والغاية التي إليها يجرى القائل، والسامع؛ إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع، فمصطلح البيان يجمع كل طرق الاتصال، ووسائل التبليغ في المجتمع".

2. وانحصرت وظيفة اللغة عند "ابن سنان الخفاجي" في الوظيفة التبليغية؛ ويدل على ذلك قوله: "ومن شروط الفصاحة، والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهرًا جليًا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه، وتأمّل لفهمه؛ والدليل على صحة ما ذهبنا إليه أن الكلام غير مقصود في نفسه؛ وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم، ويفهموا المعاني التي في نفوسهم".

3. وحدد "سابير" اللغة؛ بقوله: "اللغة نتاج ثقافي، وليست وظيفة بيولوجية، وحتى لو اختلفت الأسس بين اللغة، والكلام تبقى الغاية منهما التواصل وفق السياق الثقافي".

ومن هنا تظهر التعريفات السابقة للغة عملية التواصل بوصفها عملية تساعد الإنسان على أداء أغراضه، وتحقيق حاجاته؛ وبذلك فحاجة الإنسان إلى اللغة شرط من شروط تواصله مع الآخرين؛ لأن اللغة نتاج ثقافي، وسلوك اجتماعي يهدف إلى الإبانة عن المعاني؛ لتصل الرسالة من متكلم إلى مستمع غاية كل منهما الفهم، والإفهام عن طريق اللغة وفقًا للسياق الثقافي.

ثم تطور مفهوم التواصل ليظهر عند اللسانيين بوصفه؛ "بحثًا تأمليًا في المميزات الخاصة في كل نظام من العلامات مستعملًا بين كائنين (حيين، أم تقنيين)؛ يهدف إلى غايات تواصلية". (عبد القادر الغزالي، 2003: 23)، ويتمثل ذلك بوضوح في أعمال اثنين من اللسانيين؛ فرديناند دي سوسير، ورمان جاكوبسون؛ وفيما يلي توضيح ذلك.

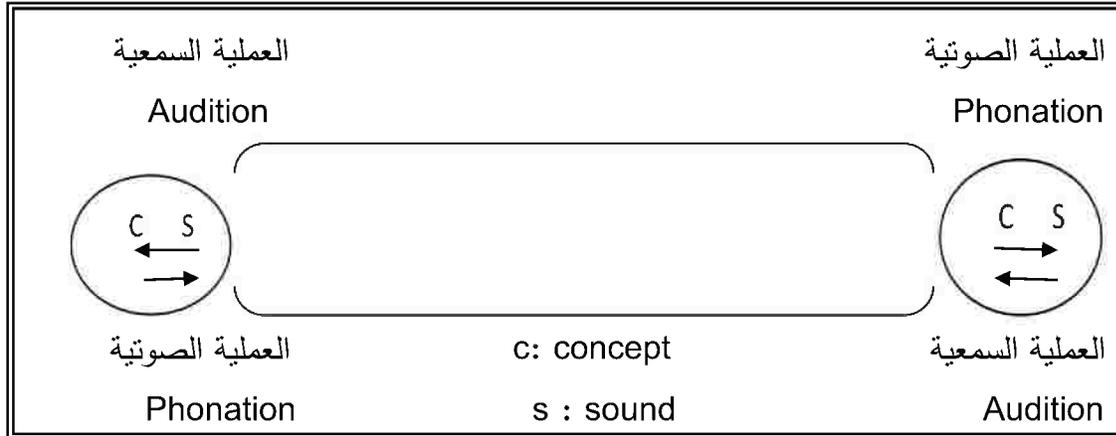
أ. نموذج "فرديناند دي سوسير":

كانت إشارة فرديناند دي سوسير إلى هذا المفهوم من خلال تفريقه بين اللغة والكلام، و من خلال ما أسماه "مدار الكلام"، فعلى الرغم من أنه لم يخصص مبحثًا للتواصل، فإن فكرة التواصل تتضح من خلال تصوره لشخصين يتواصلان، ويتحاوران فيما بينهما. (محدد الزكيك، 2005: 65).

ويتأسس هذا النموذج على التمييز الواضح بين اللغة والكلام، فإذا كانت اللغة تمثل مخزونًا جماعيًا مشتركًا بين أفراد الجماعة اللسانية؛ فإن الكلام هو تحقيق وإنجاز فعلى لهذا المخزون في مقامات كلامية تحكمها شروط خاصة. (عبد القادر الغزالي، 2003: 35).

ويظهر ذلك من خلال نموذج التواصل عند فرديناند دي سوسير (ت: بيوتيل يوسف عزيز، 1985: 30)، وهو صيرورة التواصل، أو الدورة الكلامية- كما سماها-؛ وتتحدد خطواتها على النحو الآتي:

تبدأ عملية التواصل انطلاقًا من دماغ المتكلم (أ) متخذة شكل تصورات مكونة من أصوات متوالية (الصورة السمعية)؛ لتنتقل في اتجاه أذن المخاطب، وهي في بادئ الأمر أصوات، ورموز غير مفهومة؛ وأن تأويلها في ذهن مستقبل يحول هذه المتوالية الصوتية (الدال) إلى مفهوم مؤول ذهنيًا، ومتفق عليه اجتماعيًا، ويشترط لنجاح الدورة الكلامية انطلاق الموجات الصوتية من دماغ (أ) المتكلم إلى أذن (ب) مستقبل. وفي حالة تجاوب هذا الأخير مع المتكلم (أ) ينبغي له أن يسلك الخطوات نفسها التي سلكها المرسل (أ)؛ أي الانطلاق من دماغ (ب) في اتجاه أذن (أ)؛ ويتضح ذلك من الشكل الآتي:



شكل رقم (2) نموذج التواصل عند "دي سوسير"
(فريدنان دي سوسير، 1985: 30)

وبذلك قسم "دي سوسير" الصيرورة التواصلية (المدار الكلامي)؛ إلى ما يلي:

1. عنصر خارجي تمثله أعضاء نطقية، وسمعية (الفم، والأذن،..)، وعضو آخر داخلي كالمخ وغيرها من الأعضاء الداخلية الأخرى.
2. المستوى النفسي؛ وهو بمثابة تحضير، واستعداد سيكولوجي؛ لإصدار الرسالة، وتلقيها.
3. رسالة صادرة من عقل المتكلم (أ) في اتجاه أذن المخاطب (ب)، أو من عقل هذا الأخير إلى أذن الأول؛ حيث يتم تناوب الرسائل بين الطرفين. (عبد القادر الغزالي، 2003: 36-37)، (محن الركيك، 2005: 66).

و من ثم يظهر النموذج السابق صيرورة عملية التواصل عند دي سوسير؛ بكونها نظامًا محكمًا، ومحددًا بخطوات وقواعد محددة ثابتة تغفل السياق الاجتماعي المحيط لعملية التواصل، وتحصر عملية التواصل في متواليه من العملية الصوتية والسمعية بين مرسل ومستقبل؛ بتناوب الرسائل بين الطرفين، ويحكمها الاستعداد السيكولوجي لدى كل منهما، والعلاقة بين الأعضاء النطقية والسمعية والعقل.

ب. نموذج "رومان جاكوبسون":

ظهرت مرحلة التنظير لمفهوم التواصل عام 1960 على يد عالم بنوي آخر هو "رومان جاكوبسون"، وكانت البداية ترجع إلى بحثه عام 1929، والذي تناول فيه الوظائف المتعددة للغة، وكان قد اطلع على هذا المفهوم من خلال أبحاث الرياضيين، ومهندسي التواصل السلكي، واللاسلكي، وأضاف مصطلحي المرجع (السياق)، والصلة وهي قناة فيزيقية، وربط نفسي بين باثٍ ومستقبلٍ (محن الركيك، 2005: 68-69)؛ ويتضح ذلك من الشكل الآتي:

السياق (المرجع)

المرسل.....الرسالة.....المرسل إليه

الصلة

الشفرة (السنن)

شكل رقم (3) نموذج التواصل عند "رومان جاكوبسون"
(Jakobson, 1990 - نقلاً عن دانيال تشاندلر، 2008: 306)

ويوضح الشكل السابق أن المرسل هو الطرف الأساسي في العملية التواصلية، ويضطلع ببعث الرسالة إلى المرسل إليه، وهو الطرف الثاني الأساسي في تلك العملية الذي يتلقف الرسالة التي يبعثها المرسل، وهو المؤهل لفهمها، وتأويلها، ويقصد بالرسالة تلك المعلومة، أو ذلك الخبر الذي يشكل حلقة وصل بين العنصرين الأساسيين (المرسل، والمستقبل) في العملية التواصلية. (محدد الركيك، 2005 : 69).

كما أكد "جاكوبسون" على الأحداث الكلامية في الحياة الاجتماعية؛ لأنه كان السنيًا يشدد على الوظائف الاجتماعية للغة؛ لذلك أدرك سريعًا أهمية أمرين: المكان الذي تشغله الرسائل المعينة داخل سياق المرسلات التي تحيط بها، وعلاقة الرسالة المعينة بعالم الخطاب.

وأضاف "جاكوبسون" أن عالم الخطاب يشير إلى الإطار المرجعي المشترك بين المساهمين في فعل التواصل، ثم يذهب لأبعد من ذلك، فيقول: "إن مصطلح "السياق" المعادل "العالم الخطاب" لا يشمل فقط السياق الكلامي، ولكن أيضًا السياق الكلامي في جزء منه أو السياق غير الكلامي بأجمعه. (دانيال تشاندلر، ت: بطلال وهبه، 2008 : 309-310).

وهكذا يمكن القول إن مفهوم التواصل ليس بجديد، وإنما وجد ضمناً في تعريفات اللغة مشكلاً لطبيعتها، ومحددًا لوظائفها عند اللغويين منذ القدم، ثم كانت بداية ظهوره كمصطلح علمي على أيدي علماء اللسانيات؛ ومنهم: "دي سوسير" من خلال مصطلح الدورة الكلامية، أو التواصلية؛ ليؤسس لها بالعلاقة بين الصوت، والأذن، والعقل؛ من خلال العلاقة اللغوية بين الدال، والمدلول، ثم اتسع مفهوم التواصل عند "جاكوبسون" بإضافة عنصر المرجع (السياق).

وهذا ما جعل مفهوم الدلالة لدى "جاكوبسون" أوسع من مفهومها لدى "دي سوسير"؛ فلم تعد محددة بالدلالة اللغوية وحسب؛ بل اتسع النطاق ليشمل الجانب السياقي (المقامي)؛ ويرجع ذلك لتأكيدده على الطبيعة الاجتماعية للغة؛ فيجعل من الخطاب واقعة لسانية اجتماعية معًا، فيجمع "جاكوبسون" بين ستة عناصر للتواصل؛ وهي: المرسل والمرسل إليه والرسالة والسياق والصلة والشفرة؛ مما يحقق الربط بين المعاني والألفاظ على المستوى المقالي، والمقامي.

ولكن على الرغم من ذلك ظلت عناية البنيويين مقصورة على السلوك اللغوي الظاهر الذي يمكن ملاحظته بالحواس، دون التطرق إلى ما يجري داخل العقل، مما لا يمكن التوصل إليه إلا بطرائق غير مباشرة وغير موثوقة، وكانت عناية علمائها بالجانب اللفظي للغة بينما كانت دراساتهم للغة المكتوبة تالية وثانوية. (نايف خرما، وعلى حجاج، 1988: 27).

فاللغة عند البنيويين سلوك لغوي يتحدد في الاستجابة لمثير ما؛ فكل نطق صوتي هو استجابة لمثير لغوي أو غير لغوي، وبذلك فهي تركز على السلوك الخارجى للإنسان، وذلك بوصفه مادة للتحليل اللساني، وتهمل العمليات الذهنية.

ثم ظهرت فيما بعد النظرية التوليدية التحويلية على يد العالم "شومسكى"؛ لتؤكد مركزية المعنى في الدراسة اللغوية، وهذا في إطار ما يسمى بـ "النحو التوليدي"؛ وقد عدت اللغة غريزية فطرية مختصة بالإنسان؛ لذا رأيت أن هدف التحليل اللساني أن يشرح اللغة، ويعلمها من الداخل، وليس من الخارج. (ابتهاج محمد على، 2011: 1).

لذا أكد "شومسكى" على مفهوم القدرة اللغوية؛ إلا أنه لا يدل دلالة كافية على القدرة اللغوية عند الإنسان العادي، وذلك لأن القواعد اللغوية لا تكفي لكي تمكنه من استخدام اللغة في مجتمعه بطريقه صحيحة ملائمة، إذ لا بد من اكتساب قدرات أخرى تتمثل في: اكتساب القدرة على التواصل الاجتماعي؛ أي القواعد الاجتماعية لاستخدام اللغة استخدامًا مناسبًا للمواقف المختلفة؛ وهو ما يسمى بالقدرة التواصلية. (نايف خرما، وعلى حجاج، 1988: 71-72).

ويعاب على هذا الاتجاه أنه يدرس اللغة بوصفها ظاهرة عقلية من خلال التحليلات القواعدية، وعلى الرغم من محاولتها التعامل مع المعاني؛ فهي تعزل اللغة عن مجتمعه، ومحيط استخدامها، فلا تشمل الظروف التي تتحكم في استخدامها الفعلي في المجتمع.

ومن ثم أسس الفيلسوف "لودفيغ فيتغنشتاين" (Wittgenstein) اتجاهًا جديدًا سماه "فلسفة اللغة العادية" التي أقرت - إن صح التعبير - بزيقية المعنى عند بحثها عن طبيعته في كلام الإنسان العادي؛ فوصلت إلى نتيجة مفادها أن المعنى ليس ثابتًا ولا محددًا، ودعت بذلك إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم. (ياسة ظريفة، 2010: 1-10).

فدراسة اللغة في محيطها الاجتماعي ظهرت كرد فعل لتجاهلها من علماء اللغة؛ أمثال: دي سوسير، وشومسكى. وكانت تلك السمة الاجتماعية المميزة للمدارس اللغوية في أوروبا، وخصوصًا المملكة المتحدة؛ حيث بحثت القواعد الاجتماعية السياقية التداولية التي تحكم استخدام اللغة في المجتمع. (إيمان فتحى أحمد، 2006: 42).

وأطلق عليها النظرية التداولية، والتي تمتاز عن غيرها من النظريات السابقة؛ بأنها لا تفصل الإنتاج اللغوي عن شروطه الخارجية، ولا تدرس اللغة الميتة المعزولة بوصفها نظامًا من الضوابط المجردة؛ وإنما تدرس اللغة بوصفها كيانًا مستعملًا من قبل شخص معين، وموجهًا إلى مخاطب معين لأداء غرض معين؛ أي اعتنت بالعناصر اللغوية وغير اللغوية التي يُنجز فيها الحدث الكلامي. (نسيسة نابی، 2011: 118).

ويظهر مما سبق أن عناية اللسانيين اقتصرت على السلوك اللغوي الظاهر، ثم أضاف شومسكى مصطلح القدرة الداخلية؛ إلا أنه قد حصرها في التمكن من القواعد النحوية، وأهمل السياق الاجتماعي، ومواءمة تلك القواعد للسياق الاجتماعي، وظروف المقام. ومن ثم جاءت التداولية لتدرس اللغة في سياق التواصل الفعلي - الموجود بالفعل، دون الاقتصار على الكيان النظري من القواعد اللغوية عند شومسكى؛ فتنقل باللغة من القدرة اللغوية إلى القدرة التواصلية؛ أي دراسة اللغة في محيطها الاجتماعي؛ بكونه المجال الفعلي للأداء اللغوي.

ومن هنا فاللغة لا قيمة لها ككيان مستقل؛ بل هي أداة للتخاطب والتواصل، والتعبير عن حاجات الأفراد والمجتمع؛ فهي ليست مقصودة لذاتها، وإنما هي موجودة للتعبير عن الوظائف اللغوية المختلفة؛ كالطلب، والترجي، والأمر، والنهي، وغير ذلك. لذا فالعلاقة الاجتماعية تحكم استخدامنا تركيب لغوي في التعبير عن وظيفة لغوية، ويمكن تلخيص ذلك في العبارة التالية: من يتحدث، ومع من، ومتى، وأين، وما دور كل من المتحدثين؟ ومن ثم علينا أن ننقن القواعد الاجتماعية بالإضافة إلى القواعد اللغوية. (نايف خرما، وعلى حجاج، 1988: 169-170).

ويعنى آخر فالتداولية لا تكتفي بالوصف والتفسير عند حدود البنية اللغوية أو المستوى الشكلي لها؛ بل تتجاوز ذلك إلى مستويات أعمق وأكثر استيعابًا للظاهرة اللغوية بكل أبعادها التواصلية؛ ذلك لأنها تدرس اللغة وعلاقتها بمسئولياتها والمؤولين لها من جهة. كما تهتم بالبحث عن شروط نجاح العلامات اللغوية في سياقاتها المختلفة؛ مما جعل منها نظرية استعمالية من جهة أخرى. (ياسة ظريفة، 2010: 9).

ومن هنا يمكن القول إن التداولية تبحث في كل ما من شأنه أن يقرب الفهم، والتواصل بين المتكلم والمستمع. فهي تبحث في السياق المحيط بهما؛ أي الظروف الاجتماعية، والنفسية، والثقافية، والتاريخية التي يمكن أن تساعد المستمع، وتحرك كفاءته ومقدرته؛ للوصول إلى معاني المتكلم ومقاصده وأغراض كلامه، والتعرف على المعاني النفسية المراد التعبير عنها لنقلها إلى المستمع.

لذا فالتداولية تسعى إلى صناعة معنى متداول بين المتكلم، والمستمع فيتعاونان؛ لإبراز المعنى الكامن في كلام ما من خلال كل السياقات المادية، والاجتماعية، واللغوية. (سحالية عبد الحكيم، 2000: 87). وهذا يدل دلالة واضحة على وجود متكلم، ومستمع، وقناة تواصل، وهي مكونات سياق الكلام، وبذلك تولي التداولية أهمية كبرى؛ ومن ثم عُرفت التداولية؛ أنها: "دراسة جوانب السياق (Aspect of context)، كما عُرفت أنها: "دراسة اللغة في الاستعمال in use، أو في التواصل In interaction". (باسة ظريفة، 2010: 10).

رابعًا: اللغة والتواصل:

اللغة رموز اجتماعية مشتركة ومستخدمة للتواصل، فيتعلم الفرد معالجة النظام الرمزي المستخدم بواسطة الآخرين في بيئته، ثم يفسره، ويكتسبه، ويمارس التواصل في اتجاهين؛ هما: اللغة الاستقبالية (Receptive language)، واللغة التعبيرية (Expressive language). (Min,H,L.&Wah,L.L.2011.P.19 language)

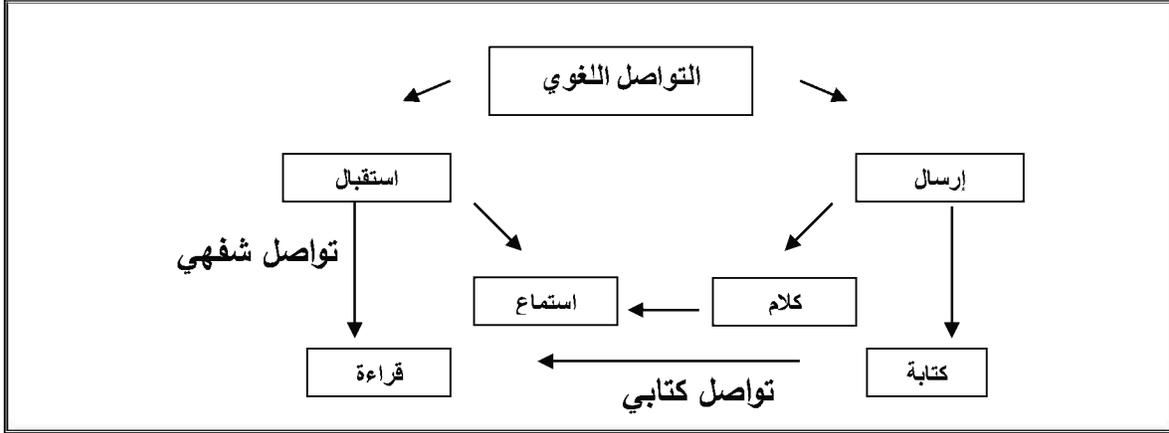
كما يعبر التواصل عن الصورة الذهنية للغة بأشكال متعددة؛ منها: ما هو شفهي، ومنها ما هو كتابي، وذلك من خلال مظهرين متميزين- وإن كانا مرتبطين تمام الارتباط؛ أولهما: اللغة الاستقبالية؛ وتتمثل في القدرة على سماع اللغة، وفهمها، وتنفيذها، وثانيهما: ما يسمى باللغة التعبيرية؛ وهي اللغة المنطوقة والمكتوبة، وتظهر في قدرة الفرد على نطق اللغة، وكتابتها. (إيناس علميات، وميرفت الفايز 2012: 35)

وبذلك فاللغة وسيلة للتواصل بين مرسل، ومستقبل يسعى كل منهما إلى هدفه، وبذلك هي لا تتعدى أن تكون بين متكلم، ومستمع، أو بين كاتب، وقارئ. وعلى هذا الأساس فمهارات التواصل اللغوي- الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة- متصلة ببعضها تمام الاتصال، ويؤثر كل منها ويتأثر بغيره، فالمستمع الجيد هو بالضرورة متحدث جيد، وكاتب جيد، والقارئ الجيد هو بالضرورة متحدث جيد، وكاتب جيد.

لذا فمدار الأمر في العلاقة بين اللغة والتواصل؛ يتمثل في العلاقة بين المرسل والمستقبل، فجعل عبد القاهر الجرجاني الألفاظ لا تحمل المعاني في ذاتها، ولذاتها؛ وإنما مستودع اللغة، ومنشأها في أن واحد؛ هو منتجها ومتلقيها، فما الألفاظ إلا أمثلة للمعاني والأفكار والقيم والعواطف. (ياسر محمد على، 2010: 22-23).

وبذلك تتحدد عملية التواصل بوصفها بناء من لغة تعبيرية في مواجهة لغة استقبالية؛ أي ألفاظ تجسد معاني ما، ثم تُفسر تلك الألفاظ في معان جديدة؛ لذا فالألفاظ، والرموز اللغوية- المظهر الخارجي للتواصل- ما هي إلا انعكاس لجانب داخلي عقلي فكري. كما أن تبادل التواصل بين الأفراد يستحث الجوانب الداخلية العقلية؛ لاستمرار، وبقاء عملية التواصل اللغوي؛ إرسالًا، واستقبالًا.

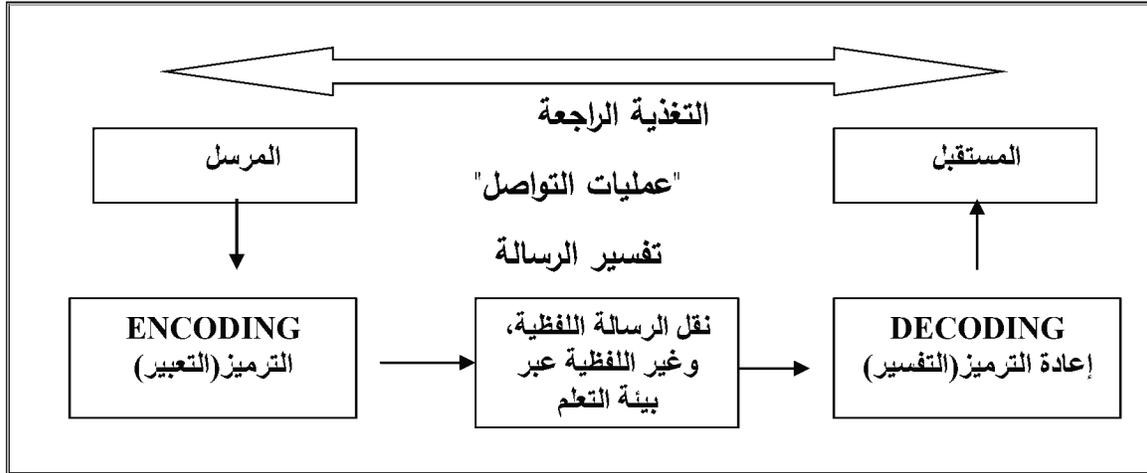
وتتمثل مهارات التواصل اللغوي في مهارتين أساسيتين؛ هما: مهارتا الإرسال: التحدث، والكتابة، ومهارتا الاستقبال: الاستماع، والقراءة. كما يمكن تصنيفها بصورة أخرى؛ وهي مهارات التواصل الشفهي: الاستماع، والتحدث، ومهارات التواصل الكتابي: القراءة، والكتابة. (رشدي طعيمة، ومحمد مناع، 2000: 25)؛ وفيما يلي توضيح مهارات التواصل الشفهي والكتابي، وما تنطوي عليه تلك المهارات من مهارات فرعية؛ ويظهر ذلك من الشكل الآتي:



شكل رقم (4) "مهارات التواصل اللفوي (الإرسال والاستقبال)"

(رشدى طعيمة، ومحمد مناع، 2000: 25)

كما حدد كلٌّ من: سهيز محمد سلامة (2007: 21-22)، Barna, J & Barna, O. (2012: 275) استخدام اللغة من أجل التواصل بعمليتين؛ هما: الترميز، وإعادة الترميز؛ أي الوظيفة التعبيرية، والتفسيرية؛ فاللغة وسيلة للفرد للتعبير عن حاجاته، ورغباته، وأحاسيسه الداخلية، ومشاعره، وانفعالاته، ومواقفه. وكما تساعد اللغة على نقل أفكار الفرد، ومشاعره إلى الآخرين؛ وتسهم بالقدر نفسه في نقل مشاعر هذا العالم إلى الفرد كي يعيشه؛ بمعنى أن فعالية الكلام لا تتأكد دون تحقيق الوجه الآخر من عملية التواصل: الإدراك والسمع؛ ويتضح ذلك من الشكل الآتي:



شكل رقم (5) "مهارات التواصل اللفوي (الترميز، وإعادة الترميز)"

(Baarna, J & Barna, O. 2012: 275)

ومفاد ما سبق أن العلاقة بين اللغة والتواصل تتضح من خلال مظهرين أساسيين؛ هما: الإرسال، والاستقبال، أو التعبير، والتفسير؛ لذا جاءت تعريفات مفهوم "التواصل اللفوي" معبرة عن ذلك؛ وهي على النحو الآتي:

1. تعريف التواصل اللغوي:

- عرفه أحمد أحمد السيد (2006: 6)؛ بأنه: " أن يستطيع تلميذ الصف الخامس الابتدائي نقل، وإرسال المعلومات، والمشاعر من خلال مهارات الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة بدقة، وفهم، وسهولة مع الاقتصاد في الجهد، والوقت".
- عرفته شادية السيد (2013: 5)؛ بأنه: " تلك الأداة المستخدمة لتبادل الآراء، والأفكار، والعواطف، ونقل المعلومات للآخرين عن طريق رموز معينة".

ويمكن من خلال ما سبق تعريف التواصل اللغوي إجرائياً؛ بأنه: " استخدام تلميذ الصف الخامس الابتدائي مهارات اللغة (الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة) تلقياً، وإنتاجاً من خلال النصوص اللغوية الشفهية والمكتوبة؛ لنقل المعرفة، وتفسيرها، وإعادة بنائها، وذلك بصورة موجهة أو مستقلة داخل نسق اجتماعي معين قد يكون علاقة ثنائية بين شخصين أو جماعة صغيرة".

ويتضح من التعريف السابق أن:

- التواصل يتم باستخدام أربع مهارات رئيسة؛ هي: الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة.
- تدريب التلاميذ على تلك المهارات يتم عبر نصوص شفهية أو مكتوبة.
- تدريب التلاميذ على تلك المهارات يتم في نطاق ذي معنى؛ لنقل المعرفة، أو لتفسيرها، أو لإعادة بنائها.
- تدريب التلاميذ على تلك المهارات يتم عن طريق مواقف التواصل الفعلي الحقيقي؛ للتحويل نحو التفكير الفردي المستقل في تلك المهارات؛ أي التدرج من الأداء الاجتماعي الموجهة إلى الأداء الفردي المستقل.
- أداء التلاميذ لمهارات التواصل اللغوي يتم بصورة موجهة أو مستقلة داخل نسق اجتماعي معين قد يكون علاقة ثنائية بين شخصين أو جماعة صغيرة.
- اختبار قدرات التلاميذ في التمكن من مهارات التواصل اللغوي يتم عبر نصوص شفهية أو مكتوبة.

كما تتحقق بذلك النظرة التكاملية لمهارات اللغة؛ بدلاً من التفويت والتجزئة الحاصلة نتيجة تدريسها في مواقف مصطنعة لا يجمع شتاتها جامع. فاللغة كالكائن الحي يؤثر كل جانب من جوانبه في الجوانب الأخرى؛ ومن ثم فإن منهج اللغة العربية ليس غاية في ذاته؛ وإنما هو وسيلة لتحقيق غاية أخرى؛ وهي تعديل السلوك اللغوي للتلاميذ من خلال تفاعلهم مع الخبرات، والمناشط اللغوية التي يحتويها المنهج. (على أحمد منكور، 1991: 79).

ومن مظاهر التكامل والتداخل بين مهارات اللغة؛ ما أشار إليه كلٌّ من: محمد صلاح الدين (1998: 84)، ورشدي طعيمة، ومحمد مناع (2000: 26)، (Center of Canadian language bench marks (5:2006)، وياسر محمد على (2010: 13)؛ على النحو الآتي:

1. إن الكلمات التي يسمعها التلميذ، ويفهمها هي الكلمات التي من المحتمل أن يتبناها في أحاديثه، وقراءته، وكتاباتته. وأي شيء يقوم به المعلم - لبناء ثروة لفظية ذات معنى في أي مهارة من مهارات اللغة- من المحتمل أن ينمي الثروة اللفظية في المهارات الثلاث الأخرى.

2. إن الإنسان في استماعه أو تكلمه، وفي قراءته أو كتابته لا بد أن يكتسب حساسية نحو التسلسل الجيد للأفكار، وعلاقاتها، وانتقائها، ودقة التفاصيل عن الفكرة الرئيسية.

3. إن الاستماع والكلام يجمعهما الصوت؛ إذ يمثلهما المهارات الصوتية التي يحتاج إليها الفرد عند الاتصال المباشر مع الآخرين، بينما تجمع الصفحة المطبوعة بين القراءة والكتابة، ويستعان بهما لتخطي حدود الزمان، والمكان عند الاتصال بالآخرين. كما أن الصلة بين الاستماع والقراءة؛ تكمن في أن كل منهما مصدر للخبرات، وهما مهارتا استقبال.

4. إن اللغة الشفهية تنمو وتتطور من خلال خبرات اللغة المكتوبة، كما تتطور اللغة المكتوبة من خلال الخبرات الشفهية، والنمو في الكفاءة اللغوية ناتج عملية تفاعلية متشابكة الأطراف فالقراءة تُدعم من خلال اللغة الشفهية، وكذلك من خلال اللغة المكتوبة، كما أن الاستماع إلى نصٍ ما، والتحدث عن موضوع ما يدعم النمو في اللغة الشفهية، والمكتوبة معاً.

وهكذا يمكن القول إن اللغة ليست مجموعة منفصلة من المهارات؛ إنما هي كيانٌ كليّ مترابط، جوهره التفكير والرموز اللغوية على مستوى الإنتاج والتلقي، وفي عملية الإنتاج ينتقل الفرد من التفكير إلى إنتاج الرموز اللغوية الشفهية، والمكتوبة، كما ينتقل الفرد في عملية التلقي من الرموز المكتوبة إلى التفكير لفهم تلك الرموز، وللوقوف على المعاني التي تعبر عنها من أجل إظهارها مرة أخرى في صورة رموز لغوية؛ لتكون عملية الإنتاج مرة أخرى.

ومن ثم تتوالى عمليتا الإنتاج، والتلقي؛ بما يضمن فعالية التواصل اللغوي القائم على الفهم والإفهام، وبما يكشف أن النشاط اللغوي ليس نشاطاً خارجياً وحسب؛ وإنما هو نشاطٌ خارجيٌّ سابقٌ للنشاط الفكري، وتابع له في الوقت نفسه.

ومن ثم يُعد التواصل من أهم أنشطة الإنسان؛ فتشكل مساحة مهارات التواصل اللفظي من أنشطة الإنسان النسب الآتية: الاستماع بنسبة 45%، والتحدث بنسبة 30%، والقراءة بنسبة 16%، والكتابة بنسبة 9%، ويسفر عن عددٍ من الثمار الاجتماعية؛ مثل: تقوية الروابط الاجتماعية بالتعاطف، والاستماع، والتعبير الملائم، وتوسيع نطاق العلاقات مع الآخرين، ومعرفة الذات وحسن تقديرها، والنجاح في الحياة المهنية، وتحسين الصحة النفسية والجسمية، وجعل الحياة أكثر متعةً وأماناً. (Hargie,O. 2006: 270)

ويتشكل التواصل اللغوي في مهارتين أساسيتين: مهارات التواصل الشفهي، ومهارات التواصل الكتابي؛ وفيما يلي تفصيل ذلك:

2. مهارات التواصل الشفهي:

- وهو يتميز التواصل الشفهي عن التواصل الكتابي بعددٍ من الميزات، والتي حددها كلٌّ من: تمام حسان (1994: 46)، Cartis,D.A& D.D. (2013:935)؛ على النحو الآتي:
- إن تقاليد السماع بحكم قدمها وحداثة تقاليد الكتابة؛ جعلت الكلام المسموع يبدو أكثر أهمية من الكلام المنظور؛ وذلك لأن الكلام المسموع أدخل في الحياة بصورة أكبر من الكتابة، وأوغل في سلوك الفرد والمجتمع.
 - إن اعتماد الكلام المنطوق على أساسيين؛ أحدهما: حركيٌّ يسمى المخرج، والثاني: سمعي يسمى الصفة؛ يجعل للنظام الصوتي من التنوع، والتركيب ما هو ليس للنظام الكتابي.
 - إن وجود النبر، والتنغيم في الكلام المسموع دون المكتوب يجعل الأول أقدر في الكشف عن دقائق المعنى من الثاني؛ لذا حاولت الكتابة أن تستعويض عن التنغيم بالترقيم، ولكنها لن تعوض النبر.
 - يتميز التواصل الشفهي بإمكانية التعبير عن الانفعالات المختلفة المصاحبة لاستخدام الكلمات.
 - يتميز التواصل الشفهي بإمكانية التوضيح، والتفسير، والإعادة.

وتنقسم مهارات التواصل الشفهي إلى مهارتين أساسيتين؛ هما: الاستماع، والتحدث؛ وفيما يلي تفصيل ذلك....

أ.مهارة الاستماع:

• الفرق بين السماع والاستماع والإنصات:

يختلف مفهوم الاستماع عن مفهومي السماع، والإنصات، وقد أشار كلٌّ من: حسن شحاته(2008: 75)، ومحسن على عطية(2008: 220)، وحصّة محمد، وأحلام العقبابوي(2011: 149)، ورأفت محمدين(2013: 84)؛ إلى ذلك على النحو الآتي:

- ✓ السمع: هو حاسة، وآلته الأذن، ومنه السماع؛ وهو عملية فيسيولوجية يتوقف حدوثها على سلامة الأذن، ولا يحتاج إلى إعمال الذهن، أو الانتباه لمصدر الصوت، فهو استقبال الأذن لأي ذبذبات صوتيةٍ من مصدر معين دون إعارتها انتباهاً مقصوداً؛ وذلك في قوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم".(البقرة:7).
- ✓ الاستماع: هو فهم الكلام، أو الانتباه إلى شيء مسموع، ويتعلق بمدى انتباه الفرد إلى المعاني المتضمنة فيما يقوله المرسل، وهو عملية يعطى فيها المستمع عنايةً خاصةً ومقصودةً لما تتلقاه أذنه من أصوات مع فهم هذا الكلام، وترجمته إلى مدلولات معينة.

✓ الإنصات: هو استماع يتم باستمراره، دون الانصراف عن المسموع طوال مدة الاستماع، وهو تركيز الانتباه على ما يستمع إليه الإنسان من أجل أهداف معينة، أو أغراض يزيد تحقيقها، وذلك كما في قوله تعالى: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (الأعراف:204).

وهكذا يمكن القول إن الفرق بين مفهومي السماع والاستماع يكمن في أن السماع هو عملية فسيولوجية آلية تتضمن مجرد تلقي الكلمات المسموعة دون الانتباه لتلك الكلمات ومعانيها، فهي تتوقف على عمل الأذن، ولكن بمجرد الانتباه لتلك الكلمات المسموعة، وإعمال العقل فيها؛ لفهمها، واستنتاج معانيها فيعد ذلك ارتقاءً من مستوى السماع إلى مستوى أعلى؛ وهو الاستماع.

ثم يرقى الفرد مع زيادة انتباهه وتركيزه- ليحقق أهدافاً معينةً محددةً مسبقاً - إلى أعلى المستويات؛ وهو الإنصات. إذن فالفرق بين الاستماع والإنصات ليس فرقاً في نوع المهارة؛ بل في درجتها. فكلاهما يقتضى التركيز، والانتباه، ولكن الإنصات يتطلب تركيزاً أكثر، وانتباهاً أكثر استمراراً من الاستماع.

• تعريف مهارة الاستماع:

تعددت تعريفات مهارة الاستماع؛ ومنها:

- تعريف AL-yami,A.S (2008:40) ؛ بأنها: " عملية نشطة فكرية معقدة يستقبل فيها المتعلم الأصوات، ويبني المعاني، ويستجيب للرسائل اللفظية، وغير اللفظية".

- وتعريف وائل جمعة أحمد(2008: 12)؛ بأنه: " عملية إنسانية مقصودة تستهدف اكتساب المعرفة؛ حيث تقوم الأذن باستقبال بعض حالات التواصل اللغوي المقصود، وتتلحظ فيها الأصوات، وتشتق معانيها من خلال الموقف الذي يجرى فيه الحديث(سياق الحديث) بواسطة المخ، كما تلعب الخبرات، والمعرفة السابقة للفرد دوراً كبيراً في فهم المسموع، وتحليله، ونقده، وإبداء الرأي فيه".

- وتعريف نجلاء محمد على (2010: 34)؛ بأنها: " عملية تستقبل فيها اللغة الشفهية بجهدٍ مبذولٍ يتحدد في الانتباه، ونشاطٍ مقصودٍ يتمثل في الإنصات، ويتطلب التمكن من عدة مهارات فرعية تمكن المستمع من تمييز الأصوات المسموعة، وتفسيرها، وفهمها، ونقدها، وتقويمها".

- وتعريف Kul,Y.C (2010: 4)؛ بأنها: " عملية البحث عن المعنى؛ وهي تبدأ من تمييز الأصوات، وتنتهي إلى تحقيق الفهم".

- وتعريف رأفت محمدين(2013: 13)؛ بأنها: " الإنصات النشط، والفعال للمتحدث، مع حسن استقبال الرسالة الصادرة من المتحدث، وفهم محتواها؛ بما يكفل الاندماج في العملية التواصلية بشكل فعال لدى تلاميذ الصف الخامس الابتدائي".

وتتضح من التعريفات السابقة مجموعة من الملامح المميزة لمهارة الاستماع؛ وهي أنها:

■ لا تقتصر على الاستقبال الحسي للأصوات اللغوية؛ بل تتعدى ذلك إلى التمييز، والتفسير، والفهم، والتقويم والنقد، ويدل ذلك على أن الاستماع عملية أكثر تعقيداً من السماع.

■ تبدأ بإدراك الرموز اللغوية المنطوقة، ثم فهم معانيها، وإدراك الرسالة التي تتضمنها، ثم تفاعل الخبرات المتضمنة في الرسالة مع خبرات المستمع، وقيمه، وانتهاءً بنقد الخبرات، وتقويمها، والحكم عليها قياساً على المعايير المعتمدة المناسبة لها، وبذلك ففي الاستماع يرتفع التلميذ من المعرفة الدنيا المتمثلة في المعرفة، والفهم، والتطبيق إلى المعرفة العليا المتمثلة في الإدراك، والتحليل، والتفسير، والنقد، والتركيب، والتقويم.

وهكذا يمكن القول إن مهارة الاستماع من أهم المهارات؛ لأنها من أولى المهارات التي يعتمد عليها الطفل الصغير لاستقبال ما حوله من مثيرات ومؤثرات، ويعد ما يسمعه الطفل أساساً لسائر المهارات الأخرى كالتحدث، والقراءة، والكتابة. فبناءً على الاستماع تتحدد حصيلته اللغوية من المخزون اللغوي؛ وذلك من خلال ممارسة عدة مهارات فرعية لمهارة الاستماع.

• المهارات الفرعية للاستماع:

يضم الاستماع - كمهارة رئيسة- عددًا من المهارات الفرعية؛ وقد اتفق كلٌّ من: فتحى يونس، وآخرون(1981: 12)، وعلى أحمد مذكور(1991 : 83- 89)، وزكريا إسماعيل(1998: 101-103)، ومحمد قزفي(2000: 74- 75)، وهدي محمد محمود هلالى(2001: 20)، وأحمد أحمد السيد (2006 : 18)، وهناء خميس(2009: 28- 29)، وأميرة عبد الرحمن الشنطى(2010: 161)، و نجلاء محمد على (2010: 43)؛ على أن أبرز المهارات الفرعية للاستماع تتمثل فيما يلي:

1- استخلاص الأفكار:

- يلخص التلميذ القصة التي حكيت له في جملة أو جملتين.
- يذكر التلميذ عنوانًا مناسبًا للقصة التي تحكى له.
- يرتب التلميذ الأفكار وفقًا لتتابعها في القصة المسموعة.

2- الحكم على صدق المحتوى وتقييمه:

- يذكر التلميذ الأسباب التفصيلية لحادثة معينة في القصة المسموعة.
- يحكم التلميذ على شخصيات القصة المسموعة.
- يحدد التلميذ التناقضات في القصة المسموعة.
- يصف التلميذ مشاعر المتحدث عن القصة المسموعة.

3- التمييز السمعي:

- يميز التلميذ بين الكلمات ذات الحركات الطويلة والقصيرة.
- يميز التلميذ بين الأساليب المختلفة.

4- التصنيف:

- يذكر التلميذ الكلمات الواردة في القصة المسموعة التي تدل على أصوات أو غيره....
- يحدد التلميذ الكلمات التي تبدأ بنفس الحرف من الكلمات المعطاة له شفهيًا.

• أهمية مهارة الاستماع:

للاستماع أهمية كبرى؛ دلت عليها أحمد أحمد السيد(2006: 12) بالوقوف على ما ورد عنها في القرآن الكريم والسنة الشريفة؛ وذلك في مواضع كثيرة؛ منها قول الله تعالى: "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (النحل: آية 78) ، واستنادًا إلى ذلك جعل "ابن خلدون" تكوين ملكة اللسان -عامة- لا يتم إلا من خلال الاستماع الجيد للغة العربية الفصحى من قارئٍ أو متحدثٍ. (رأفت محمدين، 2013: 77-78)

كما أكد كثيرٌ من الدراسات على أهمية مهارة الاستماع؛ وذلك بأنها:

- أسبق أنواع المهارات فيبدأ الفرد مستمعًا قبل أن يبدأ أي وسيلة أخرى من وسائل التواصل، ويستمر، ويساعد على تقدمه في الوسائل الثلاث الأخرى. (محمد صلاح الدين، 1998 : 84).
- وإنها من أكثر أساليب الاتصال شيوعًا، واستخدامًا، فالفرد يستطيع أن يستمع ثلاثة أضعاف ما يقرأ، وهو يشكل جزءًا حيويًا في البرنامج المدرسي. (حسن شحاته، 2008: 76) . فالفرد الذي يولد أصمًا، أو به عيوب في السمع لا يستطيع الكلام، وبالتالي لا يستطيع القراءة، أو الكتابة بالطريقة التي يتكلم، ويقرأ بها غيره من الناس العاديين. (نجلاء أحمد على، 2010: 17)
- سبيل من سبل الإنسان لزيادة ثقافته وخبراته؛ إذ إن فترة الاستماع هي تهيئة خصبة لبقية المهارات كلها، ومن هنا يُعد الاستماع نافذة يطل منها الفرد على خبرات الآخرين وتجاربهم. (أحمد أحمد السيد، 2006: 12)؛ حيث يزود الفرد بمدخلات تعلم اللغة، ولا يحدث

التعلم بدونها. (Kul,Y.C.,2010:7-8)؛ فيكتسب الفرد ثروته اللفظية عن طريق ربط الصوت والصورة، والصورة والحركة، والصوت والعمل، فالاستماع له مكانة ودورٌ في حياة الفرد وتعليمه؛ حيث يشكل حوالي 45% من النشاط اللغوي الذي يمارسه الفرد يوميًا. (شادية السيد، 2013: 14).

ويتضح بذلك أن التلاميذ يحتاجون إلى تعلم مهارة الاستماع؛ لكي يستمعوا إلى ما يتعلمون " learn to listen for listen to learn" ؛ لذا يجب اختيار الاستراتيجيات المناسبة؛ لتنمية مهارات الاستماع لديهم.(Amin , R,A.I.etal.2011.p.2).

وبناءً على ما سبق تظهر أهمية الاستماع، وكيف أنه يتضمن عددًا من العمليات العقلية التي تنشط الذاكرة، وتساعد على أداء مهمتها؛ حيث استرجاع ما استقبلته من معارف ومهارات؛ لذا يحتاج تدريس الاستماع إلى التأكيد على فاعلية التلميذ ونشاطه، ويحتاج إلى تخطيط مسبق يساعد التلميذ على التفاعل مع ما يسمعه بسهولة، وفهمه، والاستفادة منه .

• تدريس مهارة الاستماع:

لمهارة الاستماع أهمية كبرى؛ لذا ينبغي تدريب التلميذ عليها منذ وقت مبكر؛ لأهميتها في عملية التعلم، وفي أنشطة المجتمع، والحياة بصفة عامة، لذا من الخطأ الظن بأن هذه المهارة تنمو مع الطفل بشكلٍ طبيعيٍ ما دام له آذان، وبالقياس فلطفل رجلان لكنه يحتاج إلى من يعلمه المشي. (نجلاء محمد على، 2010: 33)

وعلى الرغم من أهمية مهارة الاستماع؛ فهي أكثر مهارات اللغة إهمالاً في المدارس؛ فالأطفال يأتون إلى المدرسة، ليتعلموا القراءة، والكتابة؛ ولكنهم نادرًا ما يجدون عناية في تعليم التحدث، والاستماع؛ ونتيجة لذلك نجد شكوى التلاميذ المتكررة من عدم قدرتهم على التركيز، والانتباه. (أحمد أحمد السيد، 2006: 13).

وإن إهمال الاستماع في المنهج المدرسي يؤدي إلى ضرر بالغ؛ حيث يتصل الاستماع اتصالاً وثيقاً بالكفاءة في كثير من الميادين الأكاديمية بالنسبة لبعض الأطفال خاصة المراحل الأولى، والتلاميذ الضعاف في القراءة؛ فيمثل الاستماع أهم وسيلة لتحصيلهم؛ إذ إن المستمع، وليس المتحدث هو الموجه الأول للعملية التعليمية؛ مما يتطلب وضع مدخل لتعليم مهارة الاستماع؛ بحيث يكون له أهدافه المحددة الخاصة، وطرائق تدريسه، وأساليب تقويمه.(على أحمد مذكور، 2000: 80-81).

ب. مهارة التحدث:

يُعد التحدث الركيزة الأساسية في كل نشاط يقوم به الإنسان، وهو أكثر استخدامًا من القراءة، والكتابة؛ لكونه أقدر على ترجمة المشاعر، كما أنه وسيلة الإنسان الأساسية للتفاعل، والتواصل مع الآخرين.

• تعريفات مهارة التحدث:

تعددت تعريفات مهارة التحدث؛ ومنها:

- تعريف Abdallah,S.M.M. (2008:42) ؛ بأنها: " عملية تفاعلية لبناء المعنى، وتشمل: إنتاج المعلومات واستقبالها ومعالجتها، وتخضع للسياق الذي تحدث فيه؛ حيث المشاركين أنفسهم، وخبراتهم، وثقافتهم، والبيئة الفيزيائية، والغرض من الحديث".

- وتعريف نجلاء محمد على (2010: 58)؛ بأنها: " عملية تتضمن القدرة على التفكير، والأداء الصوتي والتعبير الملحمي، وتتطلب التمكن من مهاراتها، وهو نظام متعلم، وأداءً فردياً يحدث في إطار اجتماعي؛ نقلاً للفكر، وتعبيراً عن المشاعر. وكل ما سبق إنما هو اللغة بمعناها الواسع".

- وتعريف حصة محمد، وأحلام العقبابوي(2011: 160)؛ بأنها: "القدرة على توظيف المهارات اللفظية، واللغوية، و الصوتية، ومهارات الفصاحة للتواصل مع الآخرين سواء أعلى مستوى الاستيعاب، أم التعبير".

- وتعريف Bashir,M.(5:2011) ؛ بأنها: " عملية تتيح للمتحدث التعبير عن معانيه؛ لتحقيق التواصل مع الآخرين".

- وتعريف Oradee,T.(532:2012)؛ بأنها: " عملية استخدام اللغة استخدامًا شفهيًا في نطاق اجتماعي محدد".

- وتعريف رأفت محمد(13:2013) ؛ بأنها: " قدرة التلاميذ على التحدث بطلاقة دون أي أخطاء لغوية؛ مستخدمين في حديثهم مهارات التحدث الجيد".

وذلك يمكن تلخيص العوامل التي تؤثر في عملية التحدث؛ في نوعين من العوامل: العوامل اللغوية، والعوامل الموازية للغة paralinguistic ؛ والتي تتضمن العوامل النفسية، والاجتماعية، والثقافية؛ بوصفها المهارة الوحيدة التي تتطلب وجود شخصين لحدوثها؛ ومن ثم فلا تتطلب المعرفة اللغوية وحسب؛ بل تتطلب معرفة الطرق المقبولة ثقافيًا للتفاعل مع الآخرين في المواقف المختلفة. (Abdallah,S.M.M.,2008:42)

لذا فإن مهارة التحدث يمكن أن تُبنى من خلال أنشطة التفاعل والتواصل الصفي؛ حيث المناقشات الحرة بين المعلم وتلاميذه، والمساعدات المقدمة لهم؛ ومن ثم فلأنشطة اللغوية دورٌ كبيرٌ في تدريس اللغة؛ لتنميتها مهارات التواصل اللغوي من خلال زيادة دافعية المتعلمين، وتحقيق العلاقة القوية بين المعلمين والتلاميذ، أو بين التلاميذ وبعضهم بعضًا؛ بما يهيئ بيئةً داعمةً لتعلم اللغة. (Oradee,T.2012.p.533)

ومن ثم فمهارة التحدث تتسم بسمة اجتماعية تجعلها تختلف عن غيرها من المهارات، فهي المهارة الوحيدة التي تتطلب وجود شخصين لحدوثها؛ بما يتيح الفرص للمتعم لزيادة حصيلته اللغوية من الألفاظ، والتراكيب المستخدمة في التواصل مع الآخر؛ لذا فإن تلك المهارة على قدرٍ كبيرٍ من الأهمية؛ وفيما يلي تفصيل ذلك.

● أهمية مهارة التحدث:

على الرغم من أن الاستماع يُعد أول مهارات الاستقبال لدى الفرد، فإن التحدث يُعد أول مهارات إنتاج اللغة في حياته، وهو المهارة اللغوية الثانية من حيث النمو اللغوي في الممارسة اللغوية بعد مهارة الاستماع، ومن خلال التحدث يكون التعبير، والتفاعل الإيجابي مع المجتمع بعد أن أمضى سنين من عمره الأولى مستمعًا لا يملك إلا الاستماع، ثم الاختزان، إلى أن تنمو لديه أعضاء النطق، فيبدأ في إرسال أول كلماته، معتمدًا على ما اخترته سماعًا، واستماعًا من قبل. (نجلاء محمد على،2010: 57).

وتُعد مهارة التحدث من أهم مهارات التواصل؛ فهي المهارة المباشرة الأساسية في التعبير عما نريد من أفكار، ومشاعر، ورغبات؛ وتظهر أهميتها كما حددها كلٌّ من: نجلاء محمد على(2010: 42)، وحصاة محمد ، وأحلام العقباوى(2011: 162)، Bashir.M.(2011.P.6)؛ أنها:

- أعم أنواع التواصل وأهمها، فنحن نتكلم أكثر مما نسمع، ويقول "سالزمان": "إن اللغة والكلام أهم الوسائل التي يتصل بها البشر، وهذه الأهمية ليست مطلقة، وإنما هي مقيدة بمجموعة من المبادئ التي ينبغي أن يتبعها المشاركون في الحديث، أو التخاطب".
- تُعد هدفًا لتعلم اللغة، وجزءًا من عملية التعلم ذاتها، ومن ثم فالأهم أن تُدرّس للتلاميذ التحدث عن اللغة؛ أي استخدام اللغة لتوسيع معارفهم اللغوية، وقدرتهم على استخدام اللغة؛ مما يعمل على زيادة قدرتهم على استخدام التحدث للتعلم.
- تزود المتعلمين بثروة لغوية من الألفاظ، والتراكيب التي تعينهم على التعبير عما يجول في نفوسهم.
- تعود المتعلمين بطلاقة اللسان وإجادة النطق وحسن الأداء.
- تنمي أذواق المتعلمين الأدبية، وتساعدهم على إدراك نواحي الجمال في اللغة، وتنمي ملكة الخيال لديهم.

• المهارات الفرعية للتحدث:

تضم مهارة التحدث عددًا من المهارات الفرعية، وقد اتفق كلٌّ من: فتحى يونس ، وآخرون(1981: 8)، ومحمد قرفي(2000: 72)، ومحمد عبد الفتاح أبو خليل (2006: 17)، وأحمد أحمد السيد(2006: 14) ، ووائل جمعة أحمد(2008: 15) ، وهيثم ممدوح(2011: 23)، وإياد محمد(2012: 233-235)، وفاتن عطية محمد العربي (2012: 20)، ورأفت محمدين (2013: 95)؛ على أن أبرز المهارات الفرعية للتحدث تتمثل فيما يلي:

1- إنتاج الأفكار وتنظيمها:

- ينتج التلميذ أفكارًا وثيقة الصلة بموضوع التحدث.
- يرتب التلميذ الأفكار ترتيبًا منطقيًا.

2- الصياغة اللغوية السليمة في أثناء التحدث:

- يضبط التلميذ الكلمات ضبطًا نحويًا سليمًا في أثناء التحدث.
- يصوغ التلميذ الأفكار في جمل مفيدة.
- يستخدم التلميذ في حديثه ألفاظًا، وتراكيب فصيحًا.
- يصوغ التلميذ الجمل صياغةً سليمةً.
- يربط التلميذ الجمل ربطًا سليمًا.

3- النطق الصحيح:

- ينطق التلميذ الأصوات نطقًا صحيحًا من مخارجها الصحيحة .

4- الطلاقة في التعبير:

- يتحدث التلميذ بثقة دون ارتباك.
- يدقق التلميذ في وصف المواقف والحوادث.

• تدريس مهارة التحدث:

إن الهدف الذي ينبغي أن يسعى إليه تدريس مهارة التحدث في المرحلة الابتدائية؛ ليس الوصول بالتلاميذ إلى مستوى عالٍ من التحدث، أو خلق متحدث رسمي، أو خطيب بارع، أو مذيع مشهور، بقدر ما ينبغي أن يكون الهدف هو تمكينهم من التحدث السليم بلغة جيدة، ومفهومة بعيدة عن الغموض، أو التعقيد، وكذلك التحدث عن موضوعات أو من خلال مواقف متصلة بحياتهم نابعة من أحاسيسهم، وتلبي رغباتهم وحاجاتهم بطريقة جيدة. (رأفت محمدين، 2013: 94).

ولكن على الرغم من ذلك فغالبًا ما يستحوذ المعلم على الوقت المخصص للتحدث، ويكون له الدور الرئيس في تلك العملية؛ فيحدد كيف يتم الحديث داخل الفصل ، وما الموضوعات التي يدور الحديث حولها مع قليل من التحكم للتلاميذ؛ بما لايسمح لهم بالتفاعل والحوار وتبادل الأفكار مع بعضهم بعضًا (Ranirez,C,,A,V.2010:3).

ونتيجة لذلك أشار كلٌّ من: Abdallah,S.M.M. (2008:42)، Saghedin,E. (2012:14) إلى أنه من الضروري أن يركز معلم اللغة في تدريسه التحدث على جوانب ثلاثة؛ أولها: جانب الشكل (المبنى)؛ أي الصحة النحوية، والإملائية، وثانيها: جانب المعنى؛ أي إنتاج رسالة لغوية ذات معنى يتسق مع مواقف التواصل المختلفة، وثالثها: جانب الطلاقة التعبيرية.

3. مهارات التواصل الكتابي:

وهو الشق الآخر لعملية التواصل اللغوي؛ ويشمل مهارتي: القراءة، والكتابة، و اللتان يجمعهما معًا الكلمة المكتوبة أو المطبوعة ويترابطان معًا، فالكااتب يحتاج إلى قارئ يترجم أفكاره، ويصل لمعانيها، ثم يتحول القارئ إلى كاتب عندما يعيد صياغة ما قرأه بأسلوبه؛ فيما يسمى بالدلالة الموازية للنص.

وتتمثل مهارات التواصل الكتابي في مهارتين أساسيتين؛ هما: القراءة، والكتابة؛ وفيما يلي تفصيل ذلك....

أ.مهارة القراءة:

تطورت النظرة إلى القراءة مع تطور الدراسات والبحوث عنها؛ لتُعد عملية فكرية ذهنية معقدة يتفاعل فيها القارئ مع المقروء، وينتقده، ويستخدمه في حل ما يواجهه من مشكلات. وقد أشار كلٌّ من محمد جهيم(2006: 221)، وحسن شحاته (2008: 106-109)، (Dash,B. (2013.P.2)؛ إلى اختلاف الشروح، والتفسيرات للسلوك القرائي؛ باختلاف النظر إلى عملية القراءة، وطبيعتها؛ وهي أنها:

- عملية تفاعل وتأمل بين القارئ، والنص المكتوب تسير في مراحل متدرجة ومتداخلة؛ هدفها التوصل إلى المعاني التي يتضمنها النص.
- عملية استخلاص المعاني من الرموز المكتوبة، ويتطلب حدوثها تضافر عوامل متكاملة، ومنسقة؛ حيث تستقبل شبكية العين مؤشرات الرموز المكتوبة، وتتحول هذه المؤشرات إلى نبضات عصبية تنتقل إلى مراكز العقل لتثير نوعين من الترابطات الأول: خاص بالمعنى، والآخر: خاص بالنطق.
- تفسر القراءة على أساس أن المعنى يكمن في السياق اللغوي(المادة المكتوبة)، والسياق العقلي للقارئ(خبراته وأساليب تفكيره)، وأن الحصول على المعاني يكون نتيجة التفاعل بين السياقين.

ومن ثم تنوعت تعريفات القراءة بدايةً من الإدراك البصري للأشكال، ومعاني الكلمات إلى فهم الرسالة المكتوبة إلى أنواع التفكير المختلفة، والتقييم، وإصدار الأحكام، وحل المشكلات. (AL-Jaf,R.S,2007:8).

وهكذا يمكن القول إنه رغم تعدد تفسيرات عملية القراءة، فجميعها يؤكد على وجود جانبين؛ أحدهما: الجانب الخارجي الحسي؛ أي تأمل النص المكتوب، واستقبال شبكية العين مؤشرات الرموز المكتوبة، والسياق اللغوي لها، والآخر: الجانب الداخلي العقلي؛ أي المعاني التي يتضمنها النص، والنبضات العصبية التي تنتقل إلى مراكز المخ، والسياق العقلي للقارئ؛ وبذلك يحدث التفاعل بين الجانبين: النطق، والمعنى.

● تعريفات مهارة القراءة:

تعددت تعريفات مهارة القراءة؛ ومنها:

- تعريف هدى محمد محمود هلالى(2006: 20)؛ بأنها: "عملية إنسانية مميزة يتطلب حدوثها أداء الفرد عددًا من العمليات البصرية، والذهنية، والأدائية التي تحدث بشكلٍ متكاملٍ".

- وتعريف AL-jarf.R. (2007:4) ؛ بأنها: " العملية التي تتحد فيها تفسيرات المعاني، وعمليات التفكير في الرموز المكتوبة".

- وتعريف حسن شحاته (2008: 105)؛ بأنها: " عملية عقلية انفعالية دافعية تشمل تفسير الرموز والرسوم التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه، وفهم المعاني، والربط بين الخبرة السابقة، وهذه المعاني، والاستنتاج، والنقد، والحكم، والتفوق، وحل المشكلات".

- وتعريف AL-nifayee,M.A. (2010:13)؛ بأنها: "عملية مركبة تفاعلية تضم العوامل السمعية، والبصرية، والسياقية؛ بما يؤدي إلى الفهم الناجح".

ويتضح من التعريفات السابقة أهم الملامح المميزة لمهارة القراءة؛ وهي أنها:

* عملية ذات جانبيين: جانب حسي؛ وهو العملية البصرية لتلقى الرموز، والرسوم عن طريق العين، ثم الجانب العقلي الذهني؛ وهو فهم المعاني والحكم عليها ونقدها.

* عملية ذهنية في الأساس تمكن القارئ من تعرف الرموز، وربطها بخبراته الشخصية؛ فتتحول إلى عملية أدائية.

* عملية لا تتوقف على التعرف؛ بل تمت لتشمل الاستنتاج، والنقد، والتذوق، وحل المشكلات.

• المهارات الفرعية للقراءة:

تضم القراءة عددًا من المهارات الفرعية؛ وقد اتفق كلٌّ من: فتحي يونس، وآخرون (1981: 14)، ومحمد قرفي (2000: 78-79)، وأحمد أحمد السيد (2006: 10)، وحسن السيد أحمد درويش (2008: 13)، ووائل جمعة أحمد (2008: 12)، وأحمد رشاد مصطفى (2010: 24-25)؛ على أن أبرز المهارات الفرعية للقراءة تتمثل فيما يلي:

1- مهارات الفهم القرآني:

- يحدد التلميذ معاني الكلمات المقروءة باستخدام السياق.

- يختار التلميذ المعلومات المناسبة للحديث عن فكرة معينة.

- يحدد التلميذ الأسباب والمبررات لما يقرأ.

- يحدد التلميذ المعاني المتعددة للكلمة الواحدة.

- يذكر التلميذ الأفكار المقروءة.

- يحدد التلميذ التناقض في النص المقروء.

- يستنتج التلميذ الفكرة الرئيسة في النص المقروء.

- ينظم التلميذ عناصر النص المقروء.

2- مهارات الدراسة:

- يوظف التلميذ الكلمة المقروءة في مواقف مختلفة.

3- مهارات القراءة الناقدة:

- يصدر التلميذ حكمًا على شخصية وردت في النص المقروء.

4- مهارات القراءة الإبداعية:

- يضع التلميذ أسئلة على النص المقروء.

وبناءً على ما سبق فإن القراءة تتضمن عمليتين متصلتين: الأولى ميكانيكية؛ ويقصد بها رؤية القارئ للتراكيب، والكلمات، والحروف المكتوبة عن طريق العينين، والنطق بها بواسطة جهاز النطق، والثانية: عقلية؛ ويتم من خلالها بناء المعنى؛ وتشمل: الفهم الصريح، والاستنتاج، والفهم الضمني (فهم ما بين السطور، والتذوق، والتحليل، ونقد المقروء، وإبداء الرأي فيه)؛ لذا فالقراءة أهمية كبرى في العملية التعليمية، والحياة عامة؛ وفيما يلي توضيح ذلك.

- أهمية مهارة القراءة:

إن القراءة - بوجه عام - نشاطٌ ذهنيٌّ مكثفٌ يشحذ التفكير، وينير العقل، ويرهف الحس، وينمي الإدراك، وهي في جوهرها عملية عضوية نفسية معقدة يقوم فيها القارئ بترجمة الرموز المكتوبة إلى معاني مقروءة مفهومة بالنسبة له.

لذا لم تعد مسؤولية تعليم القراءة مقتصرة على مرحلة تعليمية دون سواها، فهي مسؤولية كل مرحلة من المراحل التعليمية على السواء. و بذلك فالقراءة لا تعنى مجرد نطق الكلمات؛ ولكنها تعنى ما وراء الكلمة المكتوبة من معان، والتأثير بها، ونقدها. (محمد صلاح

الدين، 1998: 154). وقد وصف "فرانسيس بيكون" Francis bacon القراءة بقوله: "إن القراءة تصنع إنساناً كاملاً"، وهي من أهم مهارات التواصل المتطلبة للأغراض الأكاديمية. (Dash, B.B. 2013. P. 2).

وبذلك فإن نمو الطفل لغويًا يتوقف على القراءة؛ فيعرف معنى الكلمات المدونة، وتتسع دائرة تجاربه العامة، ويتم تزويده بالخبرات، وتنمية الدوافع القوية لديه للاعتناء بالعلوم والمعارف المختلفة. (نجلاء محمد على، 2010: 73).

وأخيرًا فالقراءة لا تقتصر على مرحلة تعليمية بعينها فحسب؛ بل هي عملية حياة مستمرة مع الإنسان طوال حياته؛ يستزيد من مهاراتها بتقدمه عبر المراحل الدراسية، وعبر مراحل نموه المختلفة؛ لتتسع معارفه، وتزداد خبراته، وتكون أساس نموه المعرفي؛ بتحويله الكلمات المقروءة الخارجية إلى معانٍ داخلية ذاتية تعبر عن ذاته، وفكره، وخبراته السابقة؛ فتكون فيما بعد مجالًا للمقارنة، والنقد، وإصدار الأحكام، وسبيلًا إلى حل المشكلات.

- تدريس مهارة القراءة:

يتطلب تدريس القراءة أن يزود المعلم تلاميذه بيئة فعالة؛ لدعم تفاعلهم مع الكلمة المطبوعة، والأفكار المقدمة؛ بما يحقق الربط بين خبراتهم السابقة، والخبرات الجديدة. (Owolabi, T&Okebukola, F, 2009: 1).

وهذا يجعل القراءة عملية مركبة تفاعلية؛ يعمل خلالها العقل بطريقة نشطة في ملاحظة الكلمات، وتفسير معانيها؛ بما يساعد على تطوير كفاءة التلاميذ اللغوية، وزيادة قدرتهم على تعلم الأساليب والمفردات الجديدة وفهم المفاهيم والأفكار، ومساعدتهم على التفكير الناقد، واتخاذ القرار، وتنمية الطلاقة اللغوية لديهم، ومتابعة كل ما هو جديد في عالم المعرفة. (nifayee, M.A., 2010: 11)

(AL-

ب. مهارة الكتابة:

تعد الكتابة هي الشق الآخر للتواصل الكتابي، وتتكامل مع عملية القراءة؛ فيصير القارئ كاتبًا معبرًا عن رأيه، وفكره فيما قرأ. وقد أكد زكريا إسماعيل (1998: 157) ذلك؛ بقوله: "إنه إذا كانت القراءة عملية تحويل الرموز المكتوبة إلى أصوات منطوقة؛ فإن الكتابة عملية تحويل الأصوات إلى رموز مكتوبة في حالة الإملاء".

• تعريفات مهارة الكتابة:

تعددت تعريفات مهارة الكتابة؛ ومنها:

- تعريف مصطفى عبد العال (2001: 6)؛ بأنها: "عملية ذهنية تعتمد على مهارة استماعية، وذاكرة بصرية وقدرة عضلية للتعبير عن رموز صوتية في صورة خطية مرئية تحمل المعاني الموجودة في ذهن الكاتب".

- وتعريف هدى محمد هلالى (2006: 21)؛ بأنها: "عملية فكرية ذهنية، وتقنية - في آن واحد - تتضمن عمليتين أساسيتين متكاملتين؛ إحداهما: ذهنية، وتشمل كل ما يتعلق ببناء الرسالة، والتعبير عن المعنى، وأما الأخرى: فهي عملية حسية حركية، وتشمل كل ما يتعلق بالرسم والخط وتنظيم الأفكار والفقرات".

- وتعريف أحمد أحمد السيد (2008: 13)؛ بأنها: "مهارة من مهارات التواصل اللغوي التي تمكن التلميذ من التعبير عن أفكاره، والوقوف على أفكار غيره، وإظهار ما لديه من أفكار، ومشاعر، وتسجيل ما يريد من أحداث ووقائع. وهي مهارة إرسال يظهر من خلالها محصلة المهارات اللغوية الأخرى؛ فالكتابة هي أعظم ما أنتج العقل الإنساني، وهي لا تُستطاع إلا اكتسابًا وتدريبًا".

- وتعريف Wallace, H&Roberson, C (2009: 23)؛ بأنها: "طريقة لتسجيل الأفكار، والتواصل بواسطة رموز وعلامات بصرية".

ويظهر من التعريفات السابقة أن الكتابة كعملية تواصلية تتميز؛ بأنها تعتمد على:

- الاكتساب والتدريب.
- التحول من الجانب العقلي إلى الجانب الحسي البصري الحركي.
- الدمج لنواتج كل المهارات اللغوية الأخرى من استماع، وتحدث، وقراءة؛ لتعبر عما هو مكتسب من خبرات ومعارف عبر تلك المهارات في صورة مدونة مكتوبة خطية.
- التسجيل كوسيلة لنقل الأفكار، والتعبير عن الآراء والاتجاهات؛ مما جعلها وسيلة لحفظ الأفكار والأحداث والوقائع.
- استخدام الفرد الكلمات المعروفة والمقبولة للتعبير عن معنى ما في شكل رسالة مكتوبة أو مطبوعة.

- المهارات الفرعية للكتابة:

إن التمكن من مهارة الكتابة يقتضي التمكن من عدة مهارات فرعية؛ وقد اتفق كلٌّ من: فتحى يونس، وآخرون(1981: 15)، محمد قرفي(2000: 80-81)، وأحمد أحمد السيد(2006: 22)، وحسن السيد أحمد درويش (2008: 30)، ووائل جمعة أحمد(2008: 13)، وإياد إبراهيم(2009: 13-15)، وأحمد رشاد مصطفى(2010: 46-47)؛ على أن أبرز المهارات الفرعية للكتابة تتمثل فيما يلي:

1- مهارات الكتابة العامة:

- يكتب التلميذ مراعيًا الفصل والوصل للحروف في الكلمة.
- يكتب التلميذ مراعيًا مهارات التقطيع.
- يكتب التلميذ مراعيًا علامات الترقيم.

2- مهارات الخط:

- يدقق التلميذ في رسم الحروف بحيث يكون بينهما تناسب في الشكل والحجم.
- يحافظ التلميذ على الانسجام بين السطور والعبارات والجمل والكلمات.

3- مهارات الإملاء:

- يميز التلميذ بين الحروف المتشابهة في النطق.
- يكتب التلميذ المفردات بطريقة صحيحة هجائيًا.

4- مهارات الكتابة الإبداعية:

- يصف التلميذ صورة، ويكتب تعليقًا عليها.
- يكتب التلميذ مقالًا أو بريقة أو لافته عن موضوع ما.

- أهمية مهارة الكتابة:

كان اختراع الجنس البشرى الكتابة معجزةً عدها كثير من العلماء أهم اختراعاته، ولا غرابة في ذلك فهي وسيلة الإنسان الآن في نقل أفكاره إلى غيره في معظم الحالات، ووسيلة المجتمع في تدوين مآثره وتراثه؛ ليحفظها ويحفظه.(محمد صلاح الدين،1998: 155).

كما أنها تمكن التلميذ من التعبير عن أفكاره، والوقوف على أفكار غيره، وإظهار ما لديه من أفكار ومشاعر وتسجيل ما يريد من أحداث ووقائع، وهي مهارة إرسال يظهر من خلالها محصلة المهارات اللغوية الأخرى.(أحمد أحمد السيد،2008: 13)؛ لذا فهي مؤثر للنجاح الأكاديمي؛ حيث الطلاقة، والدقة الكتابية. (Abdel Reham,M.A.A.,2011:12)

وبناءً على ذلك تُعد الكتابة أرقى مهارات التواصل اللغوي؛ حيث يجمع الإنسان كل خبراته المكتسبة- بطرق مختلفة سواءً بطريقة مسموعة أم مقروءة، ويعيد ترجمتها وبلورتها بما يعبر عن آرائه واتجاهاته؛ فتظهر في زي جديد ناتج عن التمكن من مهارات الكتابة

المختلفة؛ كوسيط لتحويل ونقل كل ما هو ذهني عقلي إلى الصورة الخطية المكتوبة؛ ليسهل معالجتها وتحليلها والتعرف على ما بها من أفكار وآراء واتجاهات تظهر شخصية كاتبها.

- تدريس مهارة الكتابة:

إنه من الضروري أن تتاح للتلاميذ الفرص للكتابة في أنشطة ذات معنى؛ من خلال المشاركة في مهام كتابية غرضية؛ تظهر من خلالها الكتابة كششاط نافع ومفيد؛ للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم، ووصف الأشياء والأحداث، والتنبؤ عن الأحداث المتوقعة. (Qualifications, curriculum & assessment authority for male., 2005: 15).

لذا أكد كلٌّ من: AbdelReham, M.A.A. (3:2013) Elshirbini, I & Hussein, H, A (12:2011) ضرورة التحول في تدريس الكتابة عن المدخل القائم على المنتج؛ وهو المدخل التقليدي لتدريسها؛ والذي يُزود التلاميذ بنموذج يحاكيه من أجل إنتاج نموذج مماثل من حيث تركيب الجمل، ومراعاة القواعد النحوية، والتوجه نحو المدخل القائم على العملية؛ والذي يركز على إجراءات تدريس الكتابة للتلاميذ وعملياتها؛ مثل: التعبير عن الأفكار، ومساعدة الأقران، وإعادة الكتابة.

كما عبر Zen.D. (2005: 8-10) عن ذلك أيضًا بتأكيد على ضرورة النظر إلى الكتابة بوصفها عملية إبداعية مكتسبة؛ يعبر من خلالها الفرد عن مشاعره وخبراته وردود أفعاله، ويحتاج ذلك إلى تزويد التلاميذ بيئة خالية من المخاوف، وإعطائهم الوقت المناسب، والحرية للكتابة؛ بما يدعو إلى التركيز على العمليات المعرفية المتضمنة في عملية الكتابة؛ ومن ثم الكتابة للتعلم والنمو الذاتي والشخصي.

ومن ثم تظهر العلاقة بين الكتابة والقراءة؛ حيث علاقة التفاعل بين شخصية الكاتب والقارئ؛ للوقوف على شخصية الكاتب وأفكاره، وكذلك إبراز شخصية القارئ مندمجة مع شخصية الكاتب وأفكاره ليست كناقلة لها فحسب؛ بل محلة ومقارنة ومستنتجة وناقدة.

وبناءً على ذلك فإن نجاح أي نظام تعليمي في بلوغ الغايات التربوية المرجوة من إنشائه يكمن بالدرجة الأولى في مدى اهتمامه بتمكين أبنائه من التحكم في تقنيات الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة، وذلك بوصفها الدعامات الأساسية التي يرتكز عليها التلميذ في استيعابه جميع المواد التعليمية المعروضة عليه، وأن النشاط اللغوي بألوانه المختلفة وثيق الارتباط بعمليات التفكير العليا.

ونستنتج مما سبق أن مهارات التواصل اللغوي مهارات أساسية، وحيوية ليست لنجاح التلميذ في عملية التعليم وحسب؛ بل هي صلب عملية التعليم ذاتها؛ لأن العلاقة بين المعلم، والتلميذ في الأساس قائمة على التواصل من خلال هذه المهارات؛ تواصلًا شفهيًا، وكتابيًا.

ومن ثم يُعد التعليم وبخاصة تعليم اللغة العربية عملية فنية في حد ذاتها، تتوقف على سلوك المعلم، وتصرفاته تجاه التلميذ؛ لأنها سبيل التلميذ لتعلم المواد الدراسية المختلفة بوصفها لغة التعليم الأساسية؛ فاللغة وسيلة وغاية معًا؛ وفيما يلي تفصيل عملية التواصل والتفاعل الصفي، ودورها في تنمية مهارات التواصل اللغوي.

خامسًا: التفاعل الصفي ودوره في تنمية مهارات التواصل اللغوي:

تسعى العملية التربوية إلى تحقيق النمو المتكامل لمختلف جوانب شخصية التلاميذ؛ فتستهدف إنماء شخصيتهم بالكيفية التي تحقق لهم التوازن بين مختلف الجوانب الجسمية والعقلية والوجدانية والنفسية والاجتماعية والخلقية؛ أي إنماء شخصية الفرد القادر على التواصل مع ذاته أولاً، ومع الآخرين ثانيًا، وبذلك فتتمتع القدرة على التواصل لدى الفرد إنما تحمل في طياتها كافة الأهداف العامة، والخاصة للتربية. (سليمان عبد الواحد، 2001: 169).

وعلى أية حال فالعملية التعليمية في طبيعتها ليست إلا مجرد عملية شراكة بين معلم ومتعلم تتم في مكانٍ وزمانٍ محددين، وهذه العملية ليست بالعمل السهل البسيط، فهي عملية تعتمد على ما يحدث داخل الصف؛ لذا زاد الاهتمام بالتفاعل الصفي؛ مما يتطلب إجراء دراسات،

وأبحاث ميدانية لكل الظروف المحيطة بالبيئة الصفية؛ لتحسين فاعلية العملية التعليمية. (فواز عقل، 2008: 2)؛ وفيما يلي تفصيل دور التفاعل الصفّي في تنمية مهارات التواصل اللغوي؛ ويتضح ذلك من خلال المحاور الآتية.

1. التدريس عملية تواصل لغوي:

إن التفاعل الصفّي داخل المؤسسات التعليمية مظهرٌ من مظاهر التعلم الاجتماعي، وصحية هذا التفاعل تؤثر بشكل كبير في استقامة النمو الاجتماعي، والنفسي للتلاميذ. وإن العامل الأساسي لنجاح التلميذ، أو فشله في المدرسة يرجع - بالدرجة الأولى - إلى معاملة المعلم لتلاميذه، وتفاعله معهم. وإن عملية التعليم عملية تواصل وتفاعل دائم ومتبادل ومثمر بين المعلم وتلاميذه من جهةٍ والتلميذ وبعضهم من جهةٍ أخرى؛ ومن خلال هذا التفاعل يتم تحديد ماذا يتعلمون، وكيف يتعلمون؟ (Chang,S.,2003:4)

ويتفق ذلك مع التوجه الذي ظهر في الأونة الأخيرة بضرورة فهم عملية تعلم التلاميذ وكيفية حدوثها، وكيف يمكن للمعلمين مساعدتهم؛ لكي يكونوا أكثر دافعية وذاتية في عملية التعلم؛ بما يتطلب استقلالية التلميذ، ومشاركتهم الفعالة في عملية تعلمهم؛ بدلاً من مجرد الاستجابة السلبية لما يتعلمونه، ويقتضي ذلك من المعلم بذل كثير من الجهد، واستخدام المناشط المناسبة في المواقف المختلفة ذات المعنى وثيقة الصلة بالمنهج المدرسي أو غير ذلك. (Amin, R,A.I.etal,2011:1).

كما يُعد التفاعل الصفّي ممارسةً تربويةً؛ تؤسس على فرضية مفادها أن الأفراد إذا ما اجتمعوا في مكان تربطهم علاقة ما، فإنهم يميلون إلى أن يتواصلوا بإحدى أدوات التواصل اللفظي، أو الجسدي؛ بهدف الوصول إلى حالة من تبادل الأفكار، والمشاعر؛ لتحقيق التكيف. (مجدى عزيز إبراهيم، ومحمد عبد الحليم، 2002: 14).

ومن ثم فالعلاقات الاجتماعية بين المعلم والتلميذ هي حجر الزاوية بالنسبة للعوامل الأخرى اللازمة لنجاح العملية التعليمية، فيجب أن يكون المعلمون حاضرين مؤثرين، وبالقدر نفسه يجب أن يكونوا أصدقاء للتلاميذ يخاطونهم، ويساعدونهم، ويتعاطفون معهم، ويفهمون عالمهم، ويستمعون إليهم. (روبرت مارزانو، وآخرون، ترجمة: عبد العزيز بن سعود العمر، 1993: 87-93). ويشير ذلك إلى أهمية تدريب المعلمين على مهارات التواصل مع تلاميذهم، وكيفية تمتينها لديهم؛ حيث الحاجة إلى فردية التعلم، وزيادة مسؤولية التلميذ عن عملية تعلمه. (Seghedin,E.,2012:2)

ويؤكد ذلك ما نجده من اعتناء على المستوى العالمي بأهمية إتقان المعلم لمهارات التواصل؛ فأشار اتحاد تقويم المعلمين الجدد، ودعمهم بالولايات المتحدة الأمريكية (INTASC)؛ إلى ضرورة استخدام المعلم معرفته بطرق التواصل اللفظي، وغير اللفظي لتعزيز النقاش البناء، والتعاون، والتفاعل المبني على التعاطف، والمساعدة في الفصل. (أمينة عباس، عبد العزيز الحر، 2003: 41-42).

كما حدد مشروع ألمانيا عام 1990 أن مهارات التواصل الصفّي من المهارات الأساسية لمهنة التعليم، وأصدر مجلس التخطيط النيوزلندي عام 1991 مذكرة تقضي بضرورة اهتمام المعلمين بمهارات التواصل؛ حتى تنتقل الدولة إلى عصر الاقتصاد المعرفي، وحدد مجلس التعليم في أستراليا عام 1991 عددًا من المهارات اللازمة للمعلم؛ وأهمها: إتقانه مهارة اللغة، والتواصل الجيد مع تلاميذه. (مهند خازر، أحمد محي الدين، 2011: 686).

ومن هنا فلا بد أن يعي معلمو اللغة كونها أداةً بسيطةً، ومكونًا أساسيًا في عملية التعلم لا تُفصل عن السياق؛ فتحدث على المستوى الاجتماعي أولاً، ثم تتحول إلى داخل الفرد؛ لتكون اللغة أداة توجيه القوى الاجتماعية، والثقافية، والايولوجية التي تُشكّل، وتشكّل من خلال تفاعلات التعلم اليومية؛ بما يحقق فهم التلاميذ للعالم من حولهم. (Fenyus,L.B.,2011:8).

ويظهر ما سبق أن البيئة الصفية، وما تشمله من تفاعلات، وعلاقات اجتماعية؛ تُعد من العوامل الأساسية التي تلعب دورًا بارزًا في نمو التلاميذ معرفيًا، ومهاريًا، ووجدانيًا. ويتمثل ذلك الدور في اعتماد النمو على طبيعة ما يحدث داخل الغرف الصفية من علاقات متبادلة بين المعلم والتلاميذ من جانبٍ، والتلاميذ وبعضهم من جانبٍ آخر.

يُعد ذلك محددًا رئيسًا للدرجة التي تلبي فيها احتياجات التلاميذ داخل الصف، ومؤشرًا على التحصيل الأكاديمي للتلاميذ؛ مما يشكل مفهوم "ثقافة الفصل"؛ وفيما يلي تفصيل ذلك؛ بتحديد مفهوم ثقافة الفصل، ودوره في تعليم اللغة.

ويشير مفهوم ثقافة الفصل classroom culture؛ إلى المعرفة المشتركة، والشائعة بين أفراد المجتمع الأكبر. وتشمل: مكونات ثلاثة: وهي البيئة المادية والفيزيائية (ecology)، و حضور الأفراد والمجموعات (milieu)، وأشكال العلاقات الاجتماعية (social system). (Gosnell, S., E., 2002:5)، كما يُعرف؛ أنه: "المعتقدات والقيم والأدوار والمسؤوليات والعلاقات المشتركة في بيئة الصف". (Fenyus, L. B., 2011:8).

وإن ذلك المفهوم في حقيقته ليس بجديد؛ فهو مجال بحث، ودراسة منذ أكثر من ألفي عامًا على يد "أفلاطون"، و"سقراط"؛ بالتركيز على اكتساب المعرفة من خلال المحادثات والحوارات، وذلك ما وصفه "جون ديوي" بمجموعات التعلم؛ حيث التفاعلات الاجتماعية، وتحقيق الفهم المشترك. (Heartel, D., G&Wang, C., M., 2000:1-2)

وبذلك يشمل مفهوم "ثقافة الفصل" بيئة التعلم بجانبها المادي، والمعنوي؛ وهو التفاعلات، أو السياق الاجتماعي للتعلم، وتُعنى الدراسة باستخدام التلاميذ للغة أو التفاعل باستخدامهم للغة، وما يشمله هذا التفاعل من علاقات بين المعلم، والتلاميذ أو بين التلاميذ وبعضهم بعضًا، ومدى إسهام ذلك في تنمية قدرات التلاميذ على استخدام اللغة- تواصلًا، وتعبيرًا- استخدامًا سليمًا؛ وفيما يلي تفصيل القول في أهمية ثقافة الفصل داخل فصول تدريس اللغة؛ وذلك على النحو الآتي.

2. أهمية ثقافة الفصل في تدريس اللغة:

إن تضمين مفهوم "ثقافة الفصل" في عملية تدريس اللغة؛ يهدف إلى تعلم اللغة من أجل تعلم كيفية التواصل ثقافيًا، واجتماعيًا، وأكاديميًا بطرق مناسبة للقواعد، والأعراف اللغوية لمستخدمي اللغة. (Zuheer, M. M. K., 2008:6). وقد عنيت كثيرًا من الدراسات بالعلاقة بين ثقافة الفصل، وتدريس اللغة؛ ومنها دراسة كل من: Ellison, M., C. et al (2000: 5)، Gasnell, S. E. (2002: 13)، Warkick, P. & Maloch, B (2003: 55)، Schaeffer, O., J. (2011: 8)؛ وذلك للأسباب الآتية:

- أن ثقافة الفصل نظام اجتماعي ديناميكي متمثل في استخدام اللغة.
- العلاقة المعقدة بين ثقافة الفصل، وعملية تعلم اللغة؛ فكل من عمليات تدريس اللغة، ومخرجاتها تتأثر بصورة كبيرة بالعناصر المختلفة لثقافة الفصل.
- أن ثقافة الفصل توفر إطارًا عامًا لتعليم اللغة؛ أي كيفية استخدامها للتعبير عن الأفكار، وتفسير الخبرات، وتحديد المشكلات وحلها، وإعادة صياغة الخبرات
- أن اللغة جزءٌ من الثقافة؛ وتعليمها بدون ثقافة مثل تعليم قيادة السيارة بدون القيادة.
- أن اللغة تلعب دورًا فعالًا ليست فقط كجزء من الثقافة التي تنقل باعتبارها أحد المكونات، ولكن كناقل للثقافة (معرفة، وقيم، ومعتقدات)، ولكي يحدث تواصل بين شخصين أو أكثر فلا بد من وجود فهم ثقافي مشترك بينهما.
- أن التواصل اللغوي لا يقتصر على المعرفة الصرفية، والنحوية، والدلالية وحسب؛ بل لابد من استخدام اللغة؛ أي: كيفية، ووقت استخدامها، والمرجعية، والمصادر لدى مستخدميها، وتوقعات المتكلم عما يعنيه السامع بالفعل.

ومن هنا يتأكد دور ثقافة الفصل في اكتساب اللغة؛ من خلال مظهرين أساسيين: أحدهما؛ أنها تهنيء البيئة النفسية، والاجتماعية التي تؤدي إلى اكتساب اللغة، وثانيهما؛ أن ما يحدث داخل الفصل يعد تواصلًا لغويًا- إنتاجًا واستقبالًا- حيث يستند استقبال اللغة إلى التفاعل الصفي؛ لتحقيق فهم المدخلات، وجعلها مفهومًا للتلاميذ، وتحقيق اكتساب اللغة، كما يستند إنتاج اللغة إلى توفر الفرص للتلاميذ؛ لإنتاج اللغة، وتحقيق الطلاقة اللغوية. (khadidja, K., 2010: 20-21)

ومن ثم يشير مفهوم ثقافة الفصل داخل فصول تعليم اللغة؛ إلى طبيعة اللغة كظاهرة اجتماعية تنشأ وتُبنى من خلال تفاعل الأفراد، والجماعات، وذلك إلى جانب ما يغلف هذه التفاعلات من علاقات اجتماعية، وإنسانية؛ تهنيء الجو النفسي اللازم لنجاح التفاعلات

الصفية؛ أي الممارسات، والإجراءات التعليمية، والاجتماعية التي تشكل سياق، ومحيط الصف في تعليم اللغة؛ بما يخلق جواً، ومناخاً تعليمياً، واجتماعياً فعالاً في تعلم اللغة، واستخدامها بصورة فعالة.

ويؤسس ذلك على افتراض أن حياتنا الاجتماعية تتكون من مجموعة من الكلمات نبحث لها عن معانٍ، وذلك يكمن في الطريقة التي نتعامل بها مع الآخر؛ لإدارة المعنى، وإحداث التأثير المطلوب. (Hargie,O., 2006:8) ؛ مما يهيئ البيئة الفعالة لتنمية مهارات التواصل لدى التلاميذ، والتي تزودهم بالفرص المناسبة؛ لتعلم كيفية التواصل، ويكون التواصل فعالاً إذا كان مستقبل المعلومات يمكنه فهم تلك المهارات، وممارستها. (Iksan,H.Z.etal.,2012:72).

وبذلك تختلف فصول تدريس اللغة عن غيرها من المواد الدراسية؛ حيث اللغة المستهدفة هي ما يتم تعليمه، وهي أيضاً الوسيلة التي يتم بها ذلك التعليم؛ لذا فكفاءة التلاميذ لا تُقاس بجودة معارفهم اللغوية وحسب؛ بل أيضاً بجودة استخدام تلك المعارف، والذي يتطلب التوظيف الحقيقي للغة في مواقف تقتضى ذلك. (Mingzhi.X., 2005:24) ؛ ومن ثم فمن الضروري أن تكون ممارسة مهارات اللغة هي السمة المميزة لفصول تعليمها، وذلك بدراستها عن طريق الاستخدام الفعلي كوسيلة حقيقية للتواصل. (Herrero,H.A,2005:2).

ويعني ذلك أن استخدام اللغة من خلال سياقات ذات معنى؛ يمكن التلاميذ من بناء قدراتهم التواصلية؛ ليكونوا قادرين على استخدام اللغة تواصلًا، ويتسق ذلك تمام الاتساق مع النظرة الكلية للغة، والتي ترى ضرورة استخدام مهارات اللغة الأربع -الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة- ككل في سياقات اجتماعية حقيقية؛ يعبر التلاميذ من خلالها لفظياً عن أفكارهم، ويستمعون لأفكار الآخرين، ويطلعون على النصوص ذات الصلة، ويعملون في مشروعات كتابية. (Joo.Y.,B., 2010, p,20).

وبناءً على ذلك كان لزاماً أن توضع حاجات التلاميذ، وقدراتهم التي تؤهلهم لإرسال اللغة، واستقبالها موضع الصدارة عند تصميم برامج تعليم المهارات اللغوية وتدريبها، كما يلزم مراعاة تفاعل التلاميذ وإيجابيتهم في أثناء العملية التعليمية، فهم ليسوا متلقين سلبيين؛ بل هم متفاعلون يجب إشراكهم في الموقف التعليمي؛ إرسالاً، واستقبالاً، كما يتم إمدادهم بالحوافز، والدوافع التي تستثيرهم لاكتساب المهارات اللغوية المختلفة، والعمل على تدعيمها وتعزيزها لديهم بثتى الطرق والأساليب. (محمد مسعد، 2012 : 12).

ومن هنا يصطبغ سياق تعليم اللغة بصبغة تفاعلية تواصلية؛ تحقيقاً لما تهدف إليه عملية تعليم اللغة، وتعلمها من إتقان التلاميذ لمهارات التواصل، فيوصف التواصل بأنه أساس اكتساب اللغة، وتعلمها. ومن ثم فكيف يُستثمر تفاعل التلاميذ باستخدام اللغة في فصول تعليمها؛ لتنمية مهارات التواصل اللغوي لديهم؟

وهذا يتطلب التنظيم الجيد والفعال للفصل؛ بتهيئة المواقف المعدة جيداً لاستخدام التلاميذ اللغة بصورة موسعة؛ بما يشمل التوظيف الجيد للقواعد النحوية والمفردات، وزيادة جودة اللغة في إجراءات التفاعلات اللغوية، والملاحظة الدقيقة من المعلم لتقدم التلاميذ لغوياً. (Dockrell,J.,2010:23).

وهناك عددٌ من الخصائص التي يجب توفرها في بيئة الفصل؛ لتنمية مهارات التواصل لدى التلاميذ؛ وذلك ما أوضحتها دراسة كلٍ من: رانيا عبد الرحمن (2005: 27)، Seghedin,E, (2012) ، Saka,M., (2010: 4723) ، National council for curriculum and assessment (13- 12: wd)؛ بضرورة مراعاة المعلم لما يلي:

- ✓ دور اللغة كنشاطٍ أساسي في عملية التعلم، وهي ذاتها من أهم السياقات لتعلمها.
- ✓ تهيئة المواقف المناسبة للتواصل الجيد داخل الفصل.
- ✓ استخدام الاستراتيجيات التشاركية التفاعلية.
- ✓ زيادة ثقة التلاميذ في أنفسهم للاندماج في عملية التعلم.
- ✓ تحفيز التلاميذ وتشجيعهم في عملية التعلم.
- ✓ استخدام المهارات اللفظية وغير اللفظية بصورة جيدة.
- ✓ استخدام لغة واضحة وبسيطة.

- ✓ نمذجة الأداء اللغوي والتفكير عاليًا في أثناء الأداء.
- ✓ استخدام التغذية الراجعة بصورة جيدة.
- ✓ توفير التواصل الفعال: وله أهمية كبرى في تماسك الجماعة، ويساعد على نقل المعلومات في الوقت المناسب لكل أعضاء الجماعة.
- ✓ المشاركة: وهي عملية نفسية سلوكية تساعد الأفراد على إشباع حاجاتهم إلى تحقيق الذات، والتقدير الاجتماعي؛ مما يجعل الفرد يشعر بأهميته ودوره في اتخاذ القرار.
- ✓ التشاور: ويعد مظهرًا عمليًا للمشاركة، ويعنى احترام كرامة الفرد، واحترام قدرته، وإشعاره بالثقة في رأسه، وتشجيعه على المشاركة في التوصل إلى البدائل، والحلول لأية مشكلات قائمة.

لذا ينبغي أن يتكامل تدريس اللغة مع استخدام التلاميذ اللغة وفقًا للجوانب الثقافية، والملاحم الاجتماعية، وما تتطوى عليه من علاقات إنسانية اجتماعية، فاللغة أهم مظهر من مظاهر الثقافة. (Murcia.C., M., 2007:13).

وبذلك فما يكتسبه المتعلم في أثناء تعلمه ليس معرفة لغوية وحسب؛ بل هو معرفة القوانين، والأعراف المتحكمة في الاستعمال الملائم للغة في مواقف اجتماعية معينة؛ وصولًا إلى تحقيق قدرة لغوية تواصلية؛ أي قدرة المتعلم على فهم الأقوال التي يسمعها، والتعبير عن المعنى الذي يريد.

(نايف خرما، وعلى حجاج ، 1988 :39 ,Lajuni,N, 2007 :15)

ومن ثم أوضح Fahim.M & Haghani,M. (2012: 694) أهمية مبدأ تعلم اللغة من خلال المشاركة؛ والذي يُعنى بالسياق الاجتماعي لاكتساب اللغة؛ فإتقان المتعلم اللغة لا يقتصر على معرفة قواعد اللغة وحسب؛ بل لابد من الاستفادة من لغة الآخرين المشاركين في الحوارات، والمناقشات.

وهذا مانادى به العالم "فيجوتسكي" من خلال النظرية الثقافية الاجتماعية التي تأسس على الطبيعة الاجتماعية لعملية التعلم، والذي هو يقود النمو، كما تقود اللغة التفكير؛ مما يجعل عملية التعلم عملية اجتماعية تحدث في سياق اجتماعي وموقف تعليمي، يتعاون فيه المعلم والتلاميذ، وتتكامل فيه فردية التلميذ مع جماعته في سياق ذي معنى؛ مما يجعل التلميذ يتجاوز مستواه الفردي الفعلي.

وانطلاقًا من تلك النظرية في تعلم اللغة؛ أكد Chang,S. (2003, p. 8) أن تعلم اللغة لا يُعد محاكاةً داخليةً لأبنية النظام اللغوي؛ ولكنه عملية تبادل النماذج اللغوية بين المشاركين من خلال أنشطة اجتماعية ضمن ممارسات تفاعلية؛ لتحقيق الكفاءة اللغوية من خلال السياق الاجتماعي؛ حيث تُنتج الأبنية اللغوية، وتُستخدم، وتُفسر بواسطة الأفراد من أجل أفعال غرضية يتم فيها الترابط بينهم.

وبذلك تحدث عملية النمو المعرفي اللغوي نتيجة للتفاعل الاجتماعي بين التلميذ والمعلمين، وكذلك التفاعل مع الأقران؛ لذا يجب أن يركز تعلم اللغة على الإجراءات والاستراتيجيات التفاعلية المستخدمة، والتي هي جزءٌ من البناء الاجتماعي الثقافي؛ حيث العلاقة التبادلية بين الفرد، والثقافة؛ بأن كل منهما يُشكل بواسطة الآخر.

لذا حددت النظرية الثقافية الاجتماعية عملية تعليم اللغة؛ بأنها مشاركة (participation) أكثر من كونها اكتسابًا (Acquisition)؛ أي مشاركة المتعلمين في حدث التعلم نفسه، وما يتضمنه من عمليات تفاعلية، والتي فيها يتم استدخال المعاني الاجتماعية، وتبنى المعرفة بصورة تعاونية تشاركية من خلال التفاعلات والحوارات بين المعلم والتلميذ. وبمعنى آخر فمن أجل بناء بيئة فعالة لتعلم اللغة يحتاج المعلم توظيف أحداثه في تفاعله مع تلاميذه؛ لتصبح عملية التدريس عملية سياقية. (Culigan,K., 2013:9)

ومن ثم تحول تعليم اللغة في الأونة الأخيرة إلى التركيز على البنائية الاجتماعية التي تدعم أشكال التواصل والتفاعل المختلفة؛ أي طريقة بناء المعرفة بين الأفراد في مجتمع التعلم؛ مما يجعل التعلم قائمًا على نشاط المتعلم، وخبراته الحياتية (etal,2005:4).

(Hunter,D)؛ ومن ثم فلا يكون التركيز على محتوى ما يتعلمه التلاميذ، ولكن كيف يفكرون فيما يتعلمونه؟ وهذا يتطلب منهم التفاوض، والحوار، وتنمية قدراتهم على تنظيم الأفكار، والتعبير عنها. (Freeman,R.,2011:229).

ونتيجة لذلك رأى Culigan,K., (2013:6) أن الأفراد من منظور النظرية الثقافية الاجتماعية ؛ هم نواتج للعالم الاجتماعية والثقافية حيث يعيشون وتنمو لغتهم وتفكيرهم؛ وذلك ما سوف يتم تناوله من خلال الفصل الثالث؛ بعنوان "الاستراتيجية القائمة على نظرية فيجوتسكي"؛ وهو المتغير المستقل في تلك الدراسة.

***ملخص الفصل الثاني:**

تناول هذا الفصل المتغير التابع في الدراسة ؛ وهو "مهارات التواصل اللغوي" فالتواصل ظاهرة اجتماعية ؛ حيث يرتبط بطبيعة الإنسان من منطلق كونه اجتماعياً لا يستطيع الحياة بمعزل عن الآخرين.

وتساعده اللغة على تحقيق ذلك؛ فهي سبيل وجوده، وأساس كيانه في المجتمع، وسبيله إلى تحقيق أغراضه وتكيفه؛ حيث يتواصل مع غيره عبر مهارات أربع أساسية؛ وهي الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة. على أن تكون تلك المهارات كياناً كلياً متصلاً جوهره التفكير، ومظهره الرموز اللغوية. فتتداخل تلك المهارات إما إرسالاً(التحدث، والكتابة)، وإما استقبالاً(الاستماع، والقراءة)، كما تتداخل؛ لتستخدم في التواصل الشفهي (الاستماع، والتحدث)، والتواصل الكتابي(القراءة، والكتابة).

لذا يجب أن يكون تعليم اللغة مرتكزاً على إتقان التلاميذ مهارات التواصل اللغوي. وخاصة أن تعليم اللغة يختلف عن تعليم غيرها من المواد الدراسية؛ حيث تعد اللغة هي الغاية، والوسيلة معاً؛ فهي غاية تتحقق بإتقان التلاميذ مهارات التواصل اللغوي، وهي أيضاً وسيلة للتواصل في السياق التعليمي لتلك المهارات، و الذي يعتمد على استخدام اللغة من خلال أنشطة شفوية أو كتابية؛ تهدف إلى إتقان التلاميذ اللغة ومهاراتها.

وهكذا يمكن القول إن تفاعل التلاميذ باستخدام اللغة في سياق تعليمها يمكن النظر إليه كوسيلة لتنمية مهارات التواصل اللغوي لدى التلاميذ، وخاصة أن تلك المهارات هي سبيل حدوث تلك التفاعلات؛ تواصلًا بين المعلم وتلاميذه أو بين التلاميذ وبعضهم ؛ استماعًا، وتحدثًا، وقراءةً، وكتابةً؛ لذا فمن الأولى الاستناد إلى تلك الطبيعة الاجتماعية لعملية التعليم وتعليم اللغة العربية خاصة؛ لتحقيق تمكن التلاميذ من مهارات التواصل اللغوي ضمن سياق تعليم اللغة.

وهذا ما نادى به نظرية فيجوتسكي(النظرية الثقافية الاجتماعية)؛ لتجعل من التعليم نشاطاً اجتماعياً يبنى التلميذ من خلاله معارفه، وخبراته السابقة في محيط تفاعلي اجتماعي، وتعد اللغة فيه وسيطاً لعملية التعلم، ووسيط لنمو المعرفي، واللغوي للمتعلم.

ومن هنا فإن سياق تعليم اللغة العربية في أشد الحاجة إلى العناية بتفاعل التلاميذ باستخدام اللغة إلى جانب ما يتضمنه من علاقات مشاركة وتعاون؛ يتجاوز بها التلاميذ المستوى الفعلي لتعلمهم إلى المستوى الممكن والقدرات المستقبلية التي لم تظهر بعد بصورة فردية؛ بل تحتاج للدعم، والتعاون كسبيل لإظهارها. ومن ثم يُعد التعلم قائداً للنمو بوصفه عملية اجتماعية تشاركية توجه تفكير التلاميذ ، وعمليات استقبال اللغة وإنتاجها ؛ وهذا ما سوف يتناوله الفصل الثالث من تلك الدراسة؛ وهو " الاستراتيجية القائمة على نظرية فيجوتسكي"؛ وهو المتغير المستقل في الدراسة.